الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

التخصص: تاريخ وحضارة المشرف الإسلامي

النشاط الاقتصادي في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين 6-7هـ/12-13م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

1/ أسماء طورش

2/ أميرة سعايدية

إشراف:

د. رابح أولاد ضياف

تشكيل لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
كمال بن مارس	أستاذ	رئيسا	8 ماي 1945 قالمة
رابح أولاد ضياف	محاضر قسم/أ	مشرفا	8 ماي 1945 قالمة
عبد القادر مباركية	مساعد/أ	عضوا	8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2021/2020

بسم الله الرحمن الرحيم

إ هـ د ا ء

أهدي هذا العمل إلى كل طالب علم يسعى لتزويد رصيده المعرفي وكسب المزيد من المعرفة...

إلى من ساندتني في صلاتها ودعائها... إلى نبع الحنان أمي الغالية...

إلى من لم يبخل عليّ بشيء... إلى أعز رجل في العالم أبي الغالي...

إلى من علّمني ان الحياة كفاح... وجسّد الحب والصبر بأسمى معانيه... فكان السند والعطاء... إلى زوجي العزيز...

إلى قرة عيني وهدية الحياة لي... أولادي...

آلاء الرحمان... محمد الأمين... رضوان...

أعتذر عن نصيبكم من الاهتمام والذي أخذته منكم الدراسة...

إلى إخوتي... رعاهم الله ووفقهم...

إلى من كانت سببا في مواصلتي لدراستي، توأمي "إيمان". أسأل الله أن يوفقك ويسدد خطاك...

إلى والدة زوجي... حفظك الله وأطال في عمرك...

إلى إخوة زوجي وأخواته... رعاهم الله ووفقهم...

إلى روح "أبي أحمد" الطاهرة... رحمك الله وأنار قبرك وجعل الفردوس الأعلى دارك... ليتك كنت معي لكان تغير الأمر كثيرا... فرحيلك قد أخذ من كل واحد منا مساحة بحجم قلبك الكبير...

إلى أساتذتي الكرام... وأهل الفضل علي... إلى من غمروني بالنصيحة... والتوجيه... والإرشاد...

إلى قسم التاريخ... أساتذة... وإداريين... وعمالا...

إلى كافة زملاء الدراسة... قسم التاريخ... تخصص مشرق إسلامي... دفعة 2021...

إلى كل من نسيه قلمي وحفظه القلب...

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع...

أسماء

إ هـ د ا ء

الحمد لله ما تناهى درب ولا ختم جهد ولا تم سعي الا بفضله، الحمد لله على البلوغ ثم الحمد لله على التمام.

الى سندي في الحياة أبي

الى مصدر قوتي ودعمي المتواصلين أمي الحبيبة

الى اختيّ الغاليتين سمية وملاك

الى أخي الحبيب جمال الدين

والى بنات العائلة صفاء، شيماء، ندى لن أنس دعمكن ووقفتكن ما حييت

الى كل عائلة "سعايدية" وعائلة "درويش"

الى كل طالب علم ...

اهدي إليهم هذا الجهد المتواضع، سائلة المولى عز وجل ان ينتفع به.

أميرة

شكر وعرفان

في البداية الشكر والحمد لله جل في علاه، فاليه يُنسب الفضل كله في انجاز هذا العمل، والكمال لله وحده...

وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس، لم يشكر الله عز وجل"، نتوجه بالشكر مسكه الاحترام والتقدير الى أستاذنا الفاضل "رابح أولاد ضياف" الذي لن تفيه أي كلمات حقه، فلولا دعمه وتوجيهاته المسترة ما تم هذا العمل، وبعدها فالشكر موصول لكل أساتذتنا الذين تتلمذنا على أيديهم في كل مراحل دراستنا حتى تشرفنا بالوقوف هنا اليوم ...

ثم نشكر كل من مدّ لنا يد العون خلال فترة انجاز هذه المذكرة وساعدنا على إخراجها على أكمل وجه

كما نتقدم بالشكر الى الأساتذة المناقشين الأفاضل، كل من الأستاذ الدكتور "كمال بن مارس" والأستاذ "مباركية عبد القادر" على موافقتهم لمناقشة مذكرتنا، لهما منا كل الشكر والتقدير.

دون أن ننسى أساتذة قسم التاريخ رئيسا وأعضاء هيئة التدريس على جهودهم.

خطة البحث

مقدمة

فصل تمهيدي: لمحة تاريخية حول إقليم الجزيرة الفراتية.

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لإقليم الجزيرة الفراتية.

المبحث الثاني: الوضع العام للمنطقة خلال القرن السادس والسابع هجري.

المبحث الثالث: أهمية إقليم الجزيرة الفراتية.

الفصل الأول: النشاط الزراعي في إقليم الجزيرة الفراتية.

المبحث الأول: أساليب الري ونظام الإقطاع في الإقليم.

المبحث الثاني: النشاط الفلاحي وأهم المحاصيل.

المبحث الثالث: الثروة الحيوانية.

المبحث الرابع: ضريبة الأرض في الإقليم.

الفصل الثاني: النشاط الصناعي في إقليم الجزيرة الفراتية.

المبحث الأول: مقومات الصناعة في الإقليم

المبحث ا لثاني: أهم الصناعات والمناطق الصناعية.

المبحث الثالث: النشاط الحرفي والفنون.

المبحث الرابع: المكوس.

الفصل الثالث: النشاط التجاري في إقليم الجزيرة الفراتية.

المبحث الأول: الطرق التجارية البرية والمائية.

المبحث الثاني: محطات التجارة والأسواق.

المبحث الثالث: التجارة الداخلية.

المبحث الرابع: التجارية الخارجية

خاتمة

المقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي أحصى كل شيء عددا، وجعل لكل شيء أمدا، ولا يشرك في حكمه أحدا، لك الحمد بما هديتنا، ولك الحمد بما سترتنا، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل، ولك الحمد بالمعافاة، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت يا أهل المغفرة ويا أهل التقوى، والصلاة والسلام على نبينا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والداعين بدعوته إلى يوم الدين، أما بعد:

إن دراسة التاريخ الاقتصادي للدولة الإسلامية وتطوره له أهمية بالغة في تحديد مسار الأمة الإسلامية، فقد سجل التاريخ الاقتصادي الإسلامي مراحل عديدة ومهمة منذ بزوغ فجر الدعوة المحمدية مرورا بعصر الصحابة والخلفاء الراشدين، فقيام الدولة الأموية فالعباسية وما صاحب هذه الأخيرة من ظهور للدول والإمارات المستقلة، والذي لا شك فيه أن الوضع الاقتصادي يعد مقوما مهما في بناء الدول، وازدهار الأوضاع الاقتصادية ويدل دلالة واضحة على الأوضاع السياسية المستقرة، والعكس. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة إقليم الجزيرة الفراتية من بين جميع المناطق والأقاليم على اعتبار أن هذا الإقليم قد احتفظ بعوامل ميزته عن غيره من الأقاليم، منها الموقع الجغرافي المتميز فهو يمثل الجزء الشمالي من الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وما يتبعها من المدن الواقعة غربي دجلة وشرقي الفرات، ويشكل بذلك الجزء الشمالي من العراق والشمالي الشرقي من سوريا والجنوبي من بلاد الأناضول في تركيا، فضلا عن تمتع هذا الإقليم في مختلف عهوده التاريخية بإمكانيات اقتصادية واسعة النطاق وهو ما أكدته مختلف المصادر التاريخية والجغرافية، ولا نغفل أن هذه المنطقة قد كانت مسرحا لظهور عديد الإمارات كالحمدانية والأتابكة والأراتقة، كما تعرضت خلال القرنين 6- 7هـ/12-13م لأحداث سياسية هامة، كان أبرزها الحروب التي دارت بين الدولتين الساسانية والبيزنطية، والمعارك التي دارت رحاها بين الأيوبيين والخوارزميين وبين المماليك والمغول وغيرهم، وهو ما جعل هذه المنطقة تتميز بطابع عدم الاستقرار وما رافقه من تأثير على النواحي الاقتصادية، إضافة إلى ما شهدته المنطقة من كوارث وأوبئة، رغم هذا إلا أن المنطقة استمرت في تطورها الاقتصادي، وكانت مركزا اقتصاديا بامتياز لجميع الأقاليم المجاورة لها، وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة الموسومة ب " النشاط الاقتصادي في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين (6-7هـ/12-13م) ".

أ) إشكالية الدراسة:

إذا كانت الأوضاع السياسية في إقليم الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس والسابع هجري غير مستقرة ومضطربة، فما مدى تأثيرها على الأوضاع الاقتصادية التي لا شك في أنها تتفاعل مع الوضع السياسي؟

وللتعمق أكثر في حيثيات الموضوع كان لا بد من طرح بعض التساؤلات التي فرضتها طبيعته واقتضتها منهجيته:

1) ماهي أشكال ومقومات الاقتصاد في إقليم الجزيرة الفراتية؟

2) إلى أي مدى أثرت الأوضاع السياسية على الأوضاع الاقتصادية في المنطقة؟

3) ماهي الأسباب الأخرى لتعثر الاقتصاد في هذا الإقليم خلال القرن السادس والسابع هجري بغض النظر عن الأوضاع السياسية؟

4) هل استطاعت المنطقة أن تبقى محافظة على مقعد الصدارة في الاقتصاد الإسلامي آنذاك رغم الظروف المختلفة؟

5) ما مدى تأثير الكوارث والأوبئة التي شهدته المنطقة خلال هذه الفترة على الأوضاع الاقتصادية؟ وما أهمية الوضع الاقتصادي في دفع عجلة التطور الحضاري للإقليم؟

ب) منهج الدراسة:

تطلب منا منهج البحث في هذا الموضوع إتباع المنهج التاريخي الوصفي والذي يخدم موضوع الدراسة بهدف وصف محتوى المادة العلمية المتحصل عليها في مختلف المصادر والمراجع كما دعمناه بالمنهج التحليلي من خلال تحليل الحوادث والمواقف قصد ربطها بالأوضاع الاقتصادية والتوصل إلى علاقة التأثير والتأثر إضافة إلى اعتمادنا على المنهج المقارن من خلال مقارنة ما جاء في شتى المراجع والمصادر المستخدمة للوصول إلى حقائق سليمة خالية من أي شوائب.

كما اتبعنا المنهج الإحصائي من خلال إحصاء بعض المعطيات التي تدعم وتخدم مضمون الدراسة.

د) حدود الدراسة:

1) الحدود المكانية: منطقة إقليم الجزيرة الفراتية وتشمل الجزء الشمالي من الأراضي الواقعة بين نهر دجلة والفرات وما يتبعها من المدن الواقعة غربي دجلة وشرقي الفرات (وتشمل حاليا الأجزاء الجنوبية الشرقية من تركيا وتشمل ديار بكر والجزء الشرقي من سوريا وتعرف بأرض الجزيرة، والجزء الشمالي من العراق).

2) الإطار الزماني: القرنين السادس والسابع الهجريين الموافقان للقرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين واللذان مثلا تقريبا تدهورا كبيرا في الحالة السياسية لمعظم الأقطار الإسلامية عززه اجتياح المغول منتصف القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي.

د) أسباب اختيار الموضوع

1) الأسباب الموضوعية:

أولا: تسليط الضوء على جانب مهم من الجوانب الحضارية لتاريخ الإسلام.

ثانيا: التاريخ الاقتصادي لإقليم الجزيرة الفراتية من المواضيع القليلة في البحث، رغم توفر المادة العلمية فيه، حيث أنها تحتاج إلى دراسة وتمحيص وبحكم أننا تعرضنا لدراسة التاريخ الاقتصادي الإسلامي في السنة الأولى ماستر، فهذا يعطينا نظرة شاملة للموضوع محل الدراسة.

ثالثا: إعطاء صورة واضحة ودقيقة عن الأوضاع الاقتصادية في هذه المنطقة، في هذه الفترة ومعرفة مدى تأثرها بالأوضاع السياسية.

2)الأسباب الذاتية:

أولا: ميولنا الشخصي إلى المنطقة والرغبة الملحة في معرفة الأوضاع الاقتصادية فيها بمزيد من التفصيل.

ثانيا: إبراز مكانة وأهمية هذه المنطقة على المستوى الاقتصادي كما برزت في الجانب السياسي.

ثالثا: كما قصدنا من اختيارنا للموضوع أن نعمل على جمع معلومات صحيحة مع الحرص الشديد على إزالة التشابك والاختلاط بين الأوضاع قبل فترة الدراسة وأثناء فترة الدراسة.

ه) الدراسات السابقة:

لم يتلق موضوع الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس والسابع هجري/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد القدر الكافي من الدراسات التاريخية المتخصصة خاصة من الناحية الاقتصادية ولذلك فقد واجهنا شحا كبيرا فيما يتعلق بالدراسات السابقة والتي تتعلق بموضوع الدراسة بصيغة مباشرة غير أننا لا ننكر أننا اعتمدنا على عدة دراسات اندرج مضمونها وصب بشكل غير مباشر في موضوعنا وهذه الدراسات هي كالتالي:

1- **الدراسة الاولى:** دراسة للباحث "عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي" والمعنونة بـ:"الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع هجري/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد" وهي رسالة دكتوراه نالها الباحث من جامعة القاهرة عام1997 وهي من أهم الدراسات التي استفدنا منها بشكل كبير خاصة من خلال منهجية البحث المستخدمة فيه كما أنه أفرد للجانب الاقتصادي مساحة لا بأس بها مكملا به الجوانب الحضارية الأخرى، رغم هذا فهو لم يفي بالقدر الكافي لمضمون موضوع الدراسة.
2- **الدراسة الثانية:** دراسة للباحثة "هالا عبد الحميد إبراهيم الوريكات" بعنوان "الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجزيرة الفراتية في القرنين الرابع والخامس الهجريين" وهي

رسالة ماجستير في التاريخ قدمت بالجامعة الأردنية كلية الدراسات العليا سنة 2001، وقد ساعدتنا هذه الدراسة في معرفة الأوضاع الاقتصادية في المنطقة في الفترة السابقة لفترة الدراسة كما استفدنا منها في ضبط خطة البحث وفي ضبط إشكالية الموضوع.

3- **الدراسة الثالثة:** من طرف الدكتور "سامي مرعي" تحت عنوان "صورة الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي كما قدمها ناصر خسرو في رحلته "، وهو بحث علمي منشور في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية العدد 4 سنة 2016 وقد قدم لنا هذا البحث معلومات وثائقية مهمة ومتنوعة في جوانب مختلفة، كما تعرض للواقع السياسي القائم آنذاك وقد استفدنا منه خاصة في مواقع المدن وأسواقها والحرف والمهن وأهم المراكز التجارية والطرق التجارية والنقود والموازين وبعض المواد المتاجر بها.

4- **الدراسة الرابعة:** وتتمثل في "إمارة ميافارقين الأيوبية ووقوفها في وجه الغزو المغولي 627 -658هـ/1230-1260م" من إعداد الباحثة نهى فضل الله حميد وهو عبارة عن بحث منشور في مجلة الدراسات التاريخية بدمشق، العددان 135-136 عام 2014م وقد ساعدتنا هذه الدراسة في معرفة الأوضاع السياسية في بعض مدن الجزيرة الفراتية خلال فترة الدراسة كمدينة ميافارقين والموصل وماردين و غيرها، إضافة إلى ظهور المغول في الجزيرة و غاراتهم الأولى سنة 627هـ/1230م و سياسة المغول في السيطرة على الجزيرة وهذا أعطانا نظرة واضحة عن الأوضاع السياسية في المنطقة منتصف القرن السابع هجري وما خلفته على الأوضاع الاقتصادية، رغم أنها لم تتعدى بضعة إشارات إلا أنها خدمتنا في دراستنا هذه، إضافة إلى بعض الدراسات الأخرى التي تتعلق بأجزاء إقليم الجزيرة الفراتية.

ومن هنا تأتي دراستنا كإفادة جديدة للموضوع، هادفة إلى إيضاح الوضع الاقتصادي الحقيقي خلال فترة الدراسة وتوضيح العلاقة بين الأوضاع السياسية السائدة آنذاك والأوضاع الاقتصادية من خلال المقارنة بين الأوضاع الاقتصادية قبل فترة الدراسة وأثناء فترة الدراسة وبالتالي الكشف عن الوجه الحقيقي للوضع الاقتصادي لإقليم الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس والسابع هجري/الثاني عشر و الثالث عشر للميلاد لعل و عسى أن تكون هذه الدراسة إضافة ناجحة ومفيدة للدراسات السابقة وبعض الدراسات الأخرى التي تتعلق بأجزاء أقاليم الجزيرة الفراتية.

و) خطة الدراسة:

إن التصور العام للموضوع وما صاحبه من إشكاليات مطروحة أفضت بنا إلى رسم خطة يرتكز عليها بحثنا في محاولة لتوضيح معالمه ضمن محاور صبت في صلب الدراسة، و قد قمنا بتقسيم البحث إلى أربعة فصول وخاتمة، فجاء الفصل الأول كفصل تمهيدي ومدخل للموضوع تحت عنوان: "لمحة تاريخية حول إقليم الجزيرة الفراتية" و الذي ضم بين ثناياه ثلاثة مباحث، فتناولنا في المبحث الأول تحديد الإطار الجغرافي للمنطقة محل الدراسة فبحثنا في أصل التسمية والتي اختلفت من جغرافي لآخر، ثم حددنا الموقع الجغرافي بكل دقة لنتطرق بعدها إلى ذكر أهم مدن الجزيرة الفراتية والتي أضحى لها صيت في العالم الإسلامي، واعتمدنا

في ذكر أهم المدن على الأهمية الاقتصادية. أما المبحث الثاني فقد خصصناه للأوضاع العامة للإقليم فأوضحنا بنوع من الاختصار الأوضاع السياسية والثقافية والدينية والعلمية والاجتماعية، على اعتبار العلاقة التي تربط كل هذه الأوضاع بالوضع الاقتصادي. أما المبحث الثالث فقد كان للحديث عن الأهمية التي اكتسبها هذا الإقليم حتى جعلته محل اهتمام المؤرخين والجغرافيين المسلمين فأفردوا له الفصول من كتبهم للحديث عنه.

وتطرقنا في الفصل الثاني للحديث عن أساس الاقتصاد في إقليم الجزيرة الفراتية ألا وهو النشاط الزراعي. فقسمنا الفصل إلى أربعة مباحث تمحورت حول أساليب الري المختلفة وأهم الموارد المائية التي حظيت بها الجزيرة حتى جعلت من أراضيها زاخرة كثيرة التنوع، كما تناولنا في نفس المبحث النظام الإقطاعي في الإقليم وتحدثنا عن أساليبه و أنواعه التي اختلفت من عهد لآخر، بينما خصص المبحث الثاني لدراسة الطرق المتبعة في الزراعة وأهم المحاصيل الزراعية دون إغفال ما طال هذا النشاط من تدهور بسبب الأوضاع السياسية آنذاك والكوارث الطبيعية التي تعرضت لها المنطقة وأثرت تأثيرا واضحا على المحاصيل الزراعية لنتحدث بعدها عن جانب مهم في النشاط الزراعي المتمثل في الثروة الحيوانية التي تميز بها الإقليم، فتوفر المراعي الواسعة ساهم في تكوّن ثروة حيوانية معتبرة مع ذكر أهم المناطق التي عرفت بتربية الحيوانات فكانت مصدرا للغذاء من جهة وللأرباح من جهة أخرى. كذلك خصصنا المبحث الرابع للحديث عن ضريبة الأرض في الإقليم في العهد العباسي ودولة آل سلجوق، إضافة إلى مقدار الخراج وطرق جبايته في المنطقة خلال فترة الدراسة.

أما الفصل الثالث فكان تحت عنوان: "النشاط الصناعي في إقليم الجزيرة الفراتية". وضم هذا الأخير أربعة مباحث فقد تعرضنا في المبحث الأول الى مقومات الصناعة في الإقليم خاصة المعادن التي كان لها أثر كبير في تطور الصناعة في الإقليم، أما المبحث الثاني فقد تناول أهم الصناعات التي تعتمد على مختلف المنتجات المتواجدة في هذا الإقليم، أما المبحث الثالث فتعرضنا فيه للحديث عن الصناعات الحرفية كالحدادة والنجارة والبناء وغيرها من الأنشطة الحرفية. فيما تناول المبحث الرابع المكوس التي فرضها أمراء الدول المتعاقبة على حكم المدن الفراتية، ومختلف الضرائب التي فرضت في بلاد الجزيرة على الدور والحوانيت وأصحاب الصنائع.

في حين خصصنا الفصل الرابع والأخير للنشاط التجاري الذي شهدته المنطقة فتطرقنا فيه إلى الطرق التجارية بنوعيها البرية و المائية، كما عمدنا إلى ذكر أهم المحطات التجارية وتطرقنا إلى وصف الأسواق ومختلف الهياكل التي أقيمت بها ثم كان المبحث الثالث الذي تناول بالتفصيل التجارة الداخلية القائمة بين مدن الجزيرة الفراتية وبين الموصل وبغداد على اعتبار أن الموصل كانت تمثل أكبر المراكز التجارية في الإقليم، كما أشرنا إلى العلاقات مع مختلف المدن الفراتية كجزيرة ابن عمر ومدينة آمد واربل وسنجار وغيرها إلا أننا نجد أن هذه التجارة قد شهدت عدة حوادث ساهمت في تقهقر الوضع التجاري من حروب وكوارث، كما حاولنا الإشارة إلى التعامل النقدي المعتمد إضافة إلى المكاييل التي تغيرت من عهد لآخر ومن مدينة لأخرى. أما المبحث الرابع فقد خصصناه للحديث عن العلاقات التجارية الخارجية والتي استهلناها بالعلاقة مع حلب على اعتبار أنها كانت تابعة لبلاد الشام قبل توحيد مناطق إقليم الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ومصر تحت نفوذ صلاح الدين. كما تطرقنا إلى التجارة مع كل

من أرمينية وفارس والبلاد المصرية وبلاد الروم والصين والهند وغيرها من البلدان مشيرين إلى أهم الصادرات والواردات والاتفاقيات التجارية التي ساهمت في استمرار النشاط التجاري.

وأخيرا خاتمة تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال دراستنا للموضوع محل البحث.

ز) صعوبات الدراسة:

بطبيعة الحال أن كل بحث تاريخي تصاحبه مجموعة من الضغوطات والصعوبات فقد واجهتنا أثناء إنجازنا لهذا البحث بعض المعوقات التي يمكن حصرها فيما يلي:

1) صعوبة جمع المادة العلمية المتناثرة في بطون المصادر المتعددة إضافة إلى اللغة الصعبة للمصادر خاصة المصادر الجغرافية وهو ما تطلب منا في كثير من الأحيان الرجوع إلى معاجم اللغة لإزالة اللبس حول العديد من الألفاظ التي قد تغير معنى الفكرة إن تم تفسيرها تفسيرا خاطئا وهذا الأمر كلفنا مزيدا من الوقت والجهد.
2) كذلك واجهتنا مشكلة تمثلت في أن أغلب المصادر أو المراجع التي تناولت الإقليم خلال فترة الدراسة تعلقت أكثر بالجانب السياسي دون الجانب الاقتصادي.
3) صعوبة الحصول على بعض المراجع التي تضمنت مادة علمية ذات صلة وثيقة بالموضوع محل الدراسة.
4) قلة الوقت فعدم توفر الوقت الكافي لإنجاز هذا العمل على الصورة التي كنا نطمح إليها رغم الجهد والطاقة اللّتان أفرغناهما فيه قد يكون أثر بشكل أو بآخر على جودة الدراسة.

ح) نقد المصادر والمراجع:

لقد اعتمدنا في دراستنا على العديد من المصادر التي تفاوتت أهميتها من مصدر إلى آخر منها مصادر التاريخ العام وكتب الجغرافيا التاريخية وكتب تاريخ الاقتصاد الإسلامي وغيرها من المراجع الحديثة التي خدمت جوانب متعددة من الموضوع وفيما يلي عرض لأهم المصادر التي اعتمدنا عليها لدراسة الموضوع:

1- كتب الجغرافيا التاريخية:

استفادت هذه الدراسة استفادة كبيرة من كتب الجغرافيا وخاصة في الفصل الأول، ومن أهم هذه الكتب:

- ابن حوقل (ت367هـ/977م) وكتابه "صورة الأرض": وهو أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي الموصلي النصيبي، ولد بنصيبين بالجزيرة الفراتية وقضى طفولته بها ثم عمل بالموصل ثم بدأ بالترحال و السفر سنة 331هـ وظل يجول البلدان لأكثر من ثلاثين عاما، وكتابه هذا صورة الأرض هو نسبة إلى كتاب المسالك و الممالك

للإصطخري الذي أعاد النظر فيه وتأتي أهمية هذا الكتاب من خلال التطرق إلى الموقع الجغرافي لإقليم الجزيرة الفراتية وأهم مدنها إضافة إلى أنواع المحاصيل وموارد المياه المختلفة وطرق المواصلات ووصف مدنها وقُراها وثرواتها المعدنية والحيوانية ونشاط أهلها التجاري و الصناعي.

- الإصطخري (ت346هـ/933م) وكتابه "المسالك والممالك": وهو أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي وقد أفادنا هذا الكتاب في الفصل الأول كثيرا وخاصة في تعيين حدود الجزيرة الفراتية وأهم مواردها المائية والمناطق المستفيدة منها وكذلك طول امتدادها.
- المقدسي (ت380هـ /990م) وكتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم": هو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي البشاري ويعد كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" من أشهر الموسوعات الجغرافية في التاريخ الاسلامي وقد أفادنا في معرفة المدن والمناطق الزراعية وأنواع المزروعات إضافة إلى أهم الطرق التجارية المارة بهذه المدن وأنواع السلع التجارية وأهم الصناعات الزراعية والمعدنية.
- ياقوت الحموي (ت626هـ/1229م) وكتابه "معجم البلدان": هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي وهو مؤرخ وجغرافي عربي من أصل يوناني من أهم تصانيفه معجم البلدان بأجزائه المتعددة، وقد تعددت جوانب الاستفادة منه في مختلف فصول هذه الدراسة فدعمنا بذكر المدن والقرى في المنطقة وأعطى معلومات عن مقدار الضرائب من جزية وخراج وتحدث عن الحياة الزراعية والحيوانية في مختلف مدن الإقليم كما تعرض للصادرات والواردات إضافة إلى ذكر المعادن وأماكن تواجدها وبناءا على كل هذا أفادنا في الصناعات في كثير من المناطق سواءا كانت صناعات اعتمدت على الزراعة او المعادن أو الحيوانات ولكونه تاجرا فقد اهتم بذكر الطرق التجارية والأسواق والموازين وتعرض أحيانا إلى المكاييل والأوزان.

2- كتب التاريخ العام:

لقد استفادت الدراسة من هذا النوع من الكتب كثيرا ومن أهمها:

- ابن الأثير (ت630هـ /1239م) وكتابه "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية": وهو علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ابو الحسن عزالدين ابن الأثير، وتتمثل أهميته في كون ابن الأثير من أبناء الإقليم وقد كان معاصرا لبعض أحداثه، وقد استفدنا من الكتاب بخصوص الأوضاع السياسية التي صاحبت تأسيس عماد الدين زنكي لأتابكة الموصل والأحداث التي رافقت الدولة الأتابكية في الجزيرة الفراتية، وكذلك كتابه "الكامل في التاريخ" فقد استفدنا من هذا الكتاب كثيرا خاصة في ذكر حوادث القرن السابع هجري من خلال ذكر الكوارث والأزمات الاقتصادية إضافة إلى الأوضاع السياسية في الإقليم في فترة الدراسة.
- الفارقي (577هـ /1181م) وكتابه "تاريخ الفارقي": وهو أحمد بن يوسف بن علي ابن الأزرق الفارقي، وتأتي أهمية هذا الكتاب لإعطائه معلومات مهمة عن الإمارة

الكردية الوحيدة التي نشأت في إقليم الجزيرة الفراتية ومختلف النشاطات الاقتصادية فيها.

- القلقشندي (ت821هـ /1418م) وكتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشا": وهو شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، وقد أفادنا كتابه هذا في تقديم المعلومات والأخبار عن الجزيرة الفراتية خاصة في عهد الأتابكة والأراتقة والأيوبيين من بعدهم خاصة فيما يتعلق بمختلف النواحي الحضارية.
- ابن مسكويه (ت421هـ /1033م) وكتابه "تجارب الأمم": وهو أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه وعنوان كتابه كاملا هو: "تجارب الأمم وتعاقب الهمم"، وقد أفادنا الكتاب في أهمية الجزيرة وخاصة من ناحية مواردها الاقتصادية والنشاطات الاقتصادية المتعددة فيها.

كما اعتمدنا على كتب التراجم لترجمة الشخصيات المبهمة التي تعرضنا لها وأفادنا كثيرا كتاب "سير أعلام النبلاء" بمختلف أجزاء ألفه الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1347م). أما كتب الاقتصاد فقد استفدنا من كتاب التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفسية والجواهر الثمينة وهو كتاب من تأليف أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري والذي أفادنا كثيرا في ذكر السلع والثياب والعطور ومختلف الصادرات والواردات والعلاقات الاقتصادية بين مختلف المدن وبالتالي فقد استفدنا منه أكبر استفادة في الفصل الأخير من الدراسة.

3- المراجع الحديثة:

- سعيد الديوه جي: تأتي دراسات سعيد الديوه جي في مقدمة الدراسات الحديثة التي استفدنا منها كثيرا وهذا لطبيعة عمله في متحف مصر فكانت الاستفادة الكبر من مختلف مؤلفاته في الفصل الثاني والثالث حيث أعطانا معلومات وافية عن الصناعة والفنون ومختلف التحف وكذا عن التجارة وأساليب التعامل التجاري وغيرها من المعاملات ومن مؤلفاته التي اعتمدنا عليها نجد: كتاب "تاريخ الموصل" وكتاب "الموصل في العهد الأتابكي" وكتابه "تجارة الموصل في مختلف العصور".
- الدوري عبد العزيز وكتابه تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري: تأتي أهمية هذا الكتاب من خلال منهجية البحث المعتمدة فيه، ومعرفة الصلات الاقتصادية بين بغداد والموصل خاصة في الفترة التي تسبق فترة الدراسة.
- سوادي عبد محمد/ الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي: وتأتي أهمية هذه الدراسة من خلال توجهها لدراسة الجانب الاقتصادي في الفترة الأولى من فترة الدراسة وقد أفادتنا من خلال ملء الفراغات التي تعرضنا لها وواجهنا أثناء دراسة المصادر، كما ساهمت في توضيح الرؤية ورسم خطة متكاملة عن الموضوع محل الدراسة.
- عصام عبد الرؤوف الفقي/ بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي: وقد استفدنا من هذا الكتاب من عدة نواحي خاصة في معرفة الأوضاع السياسية للجزيرة في

عهد الأتابكة والأيوبيين ومعرفة العلاقات الخارجية لهذه الدولة مع البيزنطيين من جهة ومع الصليبيين من جهة أخرى، كما أعطانا صورة واضحة عن الأوضاع الاقتصادية التي آلت إليها المنطقة مع هجمات المغول على الجزيرة إضافة إلى عديد الكتب الحديثة مثل كتاب العراق في عهد المغول الإيلخانيين والذي ساهم في إثراء البحث فيما يتعلق بالتجارة بين بغداد والموصل في هذا العصر لصاحبه جعفر حسين خصباك وكتاب النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى لإبراهيم علي طرخان وقد استفدنا من هذا الكتاب من خلال التعرف على التنظيمات الاقطاعية المختلفة التي مرت على الجزيرة وأساليب الإقطاع في الدولة الزنكية والدولة الأيوبية وغيرها من المراجع التي أثرت هذه الدراسة.

- عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي وكتابه " الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع هجري/ الثاني والثالث عشر للميلاد": ويعد من أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في دراستنا فقد أفرد الباحث مساحة معتبرة للنشاط الاقتصادي بمختلف أنواعه إضافة إلى أنه تناول الأوضاع خلال فترة الدراسة وبالتالي أعطاها فكرة واضحة جدا عن الوجه الحقيقي للوضع الاقتصادي لإقليم الجزيرة الفراتية خلال الفترة محل الدراسة كما أمدنا بمعلومات وافية عن الأوضاع السياسية خلال تلك الفترة وقد استفدنا من هذا الكتاب أيضا في الأوضاع الاجتماعية والدينية والعلمية في إقليم الجزيرة الفراتية.

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل .

الفصل التمهيدي:
لمحة تاريخية حول
إقليم الجزيرة الفراتية

(ملحق 1): صورة الجزيرة الفراتية في القرن السادس هجري [1]

1-سوادي عبد محمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس للهجري الثاني عشر ميلادي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1979م، ص 32.

المبحث الأول: جغرافية الجزيرة الفراتية

1- أصل التسمية:

أطلق الجغرافيين على الجزء الشمالي من أرض العراق اسم الجزيرة الفراتية، ولم يأت الاسم عرضا، وإنما جاء لوقوعها بين نهري دجلة والفرات[1].

كما قد تكون سميت كذلك لأنها تقطع نهري دجلة والفرات[2]. كما أطلق عليها اسم الجزيرة العراقية وذلك لأنها تشكل امتداد الإقليم العراق ولقربها إليه أكثر من باقي الأقاليم (كبلاد الشام وأرمينية وفارس)[3].

ولم تقتصر التسمية على إقليم الجزيرة الفراتية أو الجزيرة العراقية بل وردت كذلك مسمى إقليم آقور عند المقدسي، في حين أشار ياقوت الحموي إلى أن آقور هي اسم كورة الجزيرة أو هي الجزيرة بين الفرات والموصل[4].

ورغم اختلاف المسميات التي أطلقت على هذا الاقليم، إلا أن الملاحظ أن هذه التسميات المختلفة قد استهدفت بالدرجة الأولى الموقع الجغرافي للإقليم وما تميز به وانفرد به دون غيره من الأقاليم الأخرى.

2- الموقع الجغرافي:

وصف ابن حوقل إقليم الجزيرة الفراتية بالإقليم الجليل بنفسه، ويقصد به تلك المنطقة الممتدة ما بين نهري الدجلة والفرات، وهي تشمل ديار ربيعة ومضر[5].

وهو ما ذهب إليه ابن رسته، حيث قسم الإقليم إلى قسمين: قسم يسمى ديار ربيعة وقسم يسمى ديار مضر[6]، بينما هناك من الجغرافيين من ذهب إلى أن الجزيرة تشتمل على ديار ربيعة وديار مضر وبعض من ديار ربيعة[7].

1-ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة المياه، بيروت ،1992م، ص190.البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، م 1، تح: علي محمد البجاري، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص253.

2-ابن الفقيه، أبوبكر أحمد بن محمد الهمداني، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1988م، ص127.

3-الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد الفارسي، مسالك الممالك، تح: محمد جابر الجيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،2004م، ص78.

4-المقدسي البشاري، شمس الدين أبي عبد الله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي القاهرة،1991م، ص136.ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبد الله، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص119.

5-ابن حوقل، مصدر سابق، ص197.

6- ابن رسته، أبو علي احمد ابن عمر، الاعلاق النفيسة، المجلد 7، 1861م، ص108.

7- أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص273.

وقد تم فتح كل مواقع الجزيرة على عهد عمر بن الخطاب، فالجزيرة ومدائنها فتحت صلحا وأرضها عنوة* وكان هذا على يد عياض بن غنم *[1].

ويحيط بالجزيرة الفرات من حدود بلاد الشام والذي يعدّ الحد الغربي الجنوبي، أما الحد الجنوبي الغربي مع الفرات فإنه يمتد إلى ملطية وقلعة الروم، وسميساط وجسر منبج على بالس إلى الرقة وقريسيا والرحبة، وهيت والأنبار، ثم يعود الفرات حد الجزيرة في تكريت والسين والحديثة والموصل ثم يصعد مع دجلة إلى جزيرة ابن عمر ثم إلى أحد، وهنا يصبح الحد غريبا ويمتد على حدود أرمينية متجاوزا أمد إلى حدود بلاد الروم[2].

وبهذا تكون حدود الجزيرة الغربية بعض أرمينية وبعض بلاد الروم، فيما تحده بعض بلاد الشام، وبعض البادية جنوبا، وفي الشرق العراق، وشمالا بعض أرمينية[3].

كما تضاف المناطق الشرقية لنهر دجلة والمناطق الغربية لنهر الفرات لأراضي الجزيرة بداية من القرن الربع للهجري، إضافة إلى وجود بعض المدن والقرى غرب الفرات خارجة عن إقليم الجزيرة، ولكنها تنسب لها لقربها الجغرافي منها[4].

وعليه فحدود الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس للهجري يبدأ من جنوب مدينة (أوانا) على نهر دجلة ثم يتجه شرقا حتى مدينة شهرزور وشمالا إلى مدينة شقلاباذ وخلاط وبدليس وشميشاط ثم نحو ملطية على نهر الفرات، ثم إلى الجنوب فيمر غرب مدينة جسر منبج، وينتهي في الأنبار[5] ويذهب ابن الفقيه إلى القول إن الجزيرة من شميشاط إلى بلد، ومن الموصل الى الأردن[6].

---

* لقد فرق البلاذري في سرد أحداث الفتوحات بين فتح الحواضر(المدن)و فتح الأرياف (الأرض)فقال":وحدثني محمد عن الواقدي عن ثوبرن يزيد عن راشد بن سعد أن عياضا افتتح الجزيرة و مدائنها صلحا وأرضها عنوة" ولا يذكر البلاذري و لا غيره من المؤرخين السبب في كون المدن الرئيسية (كالرها،حران،شميشاط...) فتحت صلحا، في حين كانت الأرياف المشار إليها باسم الأرض ،فتحت عنوة و السبب ربما هو أن السلطات البيزنطية كانت تتخذ المدن مقرات لها ، يقيم فيها موظفوها و جندها و رجال الدين و التابعين لها، و هؤلاء هم الذين بادروا إلى عقد اتفاقيات الصلح مع العرب ،أما الأرياف فكان اهلها سواءا من الكرد أو غيرهم ، يقاومون الفاتحين و لا يستسلمون الاعنوة و اضطرارا للمزيد أنظر /البلاذري، فتوح البلدان، مصدر سابق،ص179.الغزو العربي لكردستان المحور الشمالي، جريدة الرأي 12فبراير2017م، ص16.

*عياض بن غنم: ابن زمير أبي شداد، أبو سعد الفهري ممن بايع بيعة الرضوان واستخلفه قرابته أبو عبيدة بن الجراح لما أحتضر على الشام وهو الذي افتتح الجزيرة صلحا، أقره عمر على الشام، فعاش بعد نحوا من عامين عاش ستين سنة ومات في سنة عشرين بالشام. للمزيد أنظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج 4، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط11، 1991م، ص23.العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الوجود واعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ج4، ص630.

1- ابن الفقيه الهمذاني، أحمد بن محمد بن إسحاق، أخبار البلدان، تح: يوسف الهادي، عالم الكتب، 1996، بيروت، لبنان، ط1، ص178، ص179.

2- ابن حوقل، مصدر سابق، ص 189.أبو الفداء، مصدر سابق، ص 275.

3-أبو الفداء، مصدر سابق، ص275.

4- الإصطخري، مصدر سابق، ص 71-72. القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1913م، ج4، ص 314.

5- سوادي، مرجع سابق، ص 37.

6-ابن الفقيه، اخبار البلدان، مصدر سابق، ص176.

فلم يختلف الجغرافيون كثيرا حول حدود الجزيرة الفراتية، وإنما هناك من أضاف بعض المدن إليها ومنهم من لم ينسبها إليها، وهذا قد يعود إلى قرب هذه المناطق جغرافيا من إقليم الجزيرة وهذه المدن سنتطرق إليها لاحقا في حديثنا حول مدن الجزيرة الفراتية.

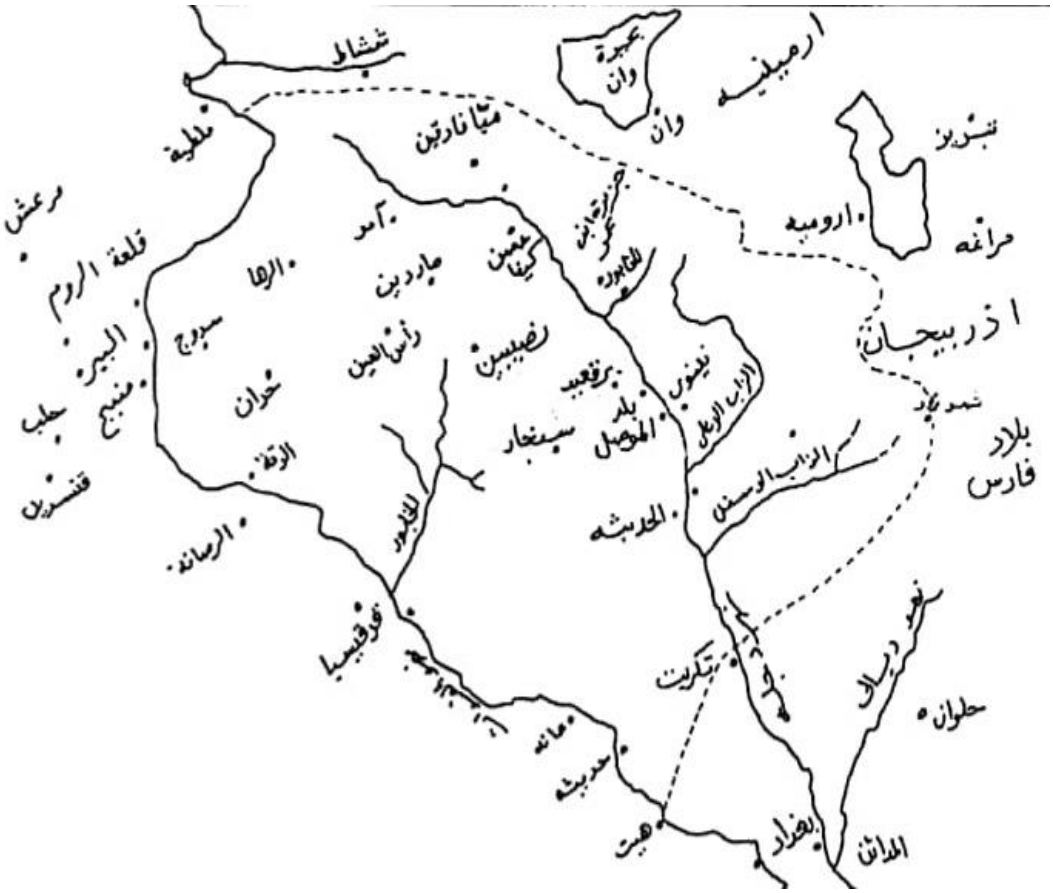

(ملحق 2) التحديد الجغرافي لإقليم الجزيرة الفراتية. [1]

[1]-الحارثي عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي، الأوضاع الحضارية في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، 2007م، ط1، ص544.

3 أهم مدن الجزيرة

لقد ضمت الجزيرة الفراتية عديد المدن بسبب موقعها الجغرافي المتميز وهذه المدن هي:

الرقة والرافقة والخانوقة وقرقيسيا والرحبة وعانة وهيت والرب والأنبار والكوفة وسنجار والموصل وبلد وجزيرة ابن عمر، ونصيبين ورأس العين وماردين والرحا وحران وآمد إضافة كل من السن وبارما ونينوى ونيسابور وقردى وبازبدا ومعلثايا والحديثة وسوق الأحد، وباجوران وعربان وسكير العباس وطابان وتينينير والمحمدية والدالية وصرصر والقطر وسورا وماكسين، والخضر وبرقعيه وأذرمة وسروج وجريان وجرينص وطنزى وحيني[1]. فهذه جلّ مدن الجزيرة الفراتية.

وقد قسم الجغرافيون إقليم الجزيرة الفراتية إلى كل من ديار بكر وديار مضر وديار ربيعة، وهي مفصلة كالتالي:

- **ديار مضر:** أجلّ مدينة فيها الرقة والرافقة، وهما تقعان على شرقي الفرات، وفي غربي الفرات بين الرقة وبالس أرض صفين وحران وهي مدينة الصابئين كما وصفت والرها وجسر منبج وسميساط وهما مدينتان من غرب الفرات[2].

وهو ماذهب إليه المقدسي حين أشار إلى أن الرقة هي قصبة ديار مضر، وأضاف إلى مدنها كلا من الخانوقة والحريش، وتل محرى، باجروان وحصن مسلمة وترحوزة وحران والناحية سروج وكفرزاب وكفرسيرين[3].

- **ديار ربيعة**: ومن مدنها نصيبين وأرزن وآمد ورأس العين وميافارقين4 وأضاف إليها الإدريسي كلا من ماردين وباعر بابا وبلد وسنجار وقردى وبازبدا وطور عبدين[5].
- **ديار بكر**: قصبتها آمد ومن مدنها ميافارقين، تل فافان وحصن كيفا الفار وحاذية وغيرهن[6].

وهنا نلاحظ أن ابن خرداذبه جعل آمد وميافارقين من مدن ديار ربيعة بينما المقدسي جعلهم من كور ديار بكر ولعل الأمر راجع إلى تداخل هذه المناطق طبيعيا.

وفيما يلي تفصيل لأهم مدن الإقليم:

أ-نصيبين: والتي وصفها ابن حوقل بأنها من أجل بقاع الجزيرة وأحسن مدنها، وهي مدينة كبيرة على أرض مستوية، وبالقرب منها جبل ماردين.

1- الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية ،2002، م1، ص654.
2- ابن حوقل، مصدر سابق، ص203، ص204.
3-المقدسي، مصدر سابق، ص137.
4 -ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص95.
5-الادريسي، مصدر سابق، ص622.
6-المقدسي، مصدر سابق، ص138.

كما أن نصيبين أصغر وأرحب من الموصل، بها حمامات وقصور منيعة وعليها حصن من الحجر والكلس[1]. وهي مدينة من ديار ربيعة حسب ابن خرداذبه[2].

ب-الموصل: سميت الموصل موصلا لأنها وصلت بين الجزيرة والشام، ويقال لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، بناها محمد بن مروان[3].

وهي مدينة على غربي دجلة، صحيحة التربة والهواء، ولم يكن بها إلا القليل من الأشجار والبساتين، وبها مسكن سلطان الجزيرة والدواوين[4].

ج-بلد: مدينة قديمة فوق الموصل على دجلة، بينهما سبعة فراسخ *، وربما قيل بلط بالطاء، وقد كانت مدينة كثيرة الغلات والأموال والجهاز والمشايخ والقصور، حسنة البنيان من جص وحجر[5].

د-سنجار: هي مفازة بها نخل كثير، كثيرة الأساكفة، ويجمع بينهم شربهم من نهر غذيبي وهي على بعد تسعة فراسخ من بلد، وتقع في وسط البريّة، على سفح جبل، لها أنهار جارية وعيون كثيرة، وعليها سور من حجر يحمي أهلها، كما أشار ابن قتيبة أنها بينها وبين الموصل ثلاثة أيام[6].

ه-رأس العين: مدينة تقع في سهلة، أسفلها متحرق بالماء ويتفجر بالعيون، بها بحيرة صغيرة تعرف برأس الماء، وصف ماؤها بالزلال، "يطرح الدرهم هم فيه فلا يخفى في أسفله[7]"، كدلالة على صفائه الشديد، كما كان للمدينة سور من حجارة النيل، وكان أكثر سكانها من العرب، وفيها من العيون ما ليس في بلد من بلدان الإسلام8.

و-آمد: تقع على جبل من غربي دجلة حسب ابن حوقل، ولكن الإصطخري ذهب إلى القول بأنها على دجلة من شرقيها[9]، وعليها سور أسود من حجارة الأرحية ويسمى ميمونا لشدة سواده، ويقول المقدسي فيها: "بلد حصين حسن عجيب البناء على عمل أنطاكية ...لا عرف المسلمون بلادا أحصن ولا ثغرا أجلَّ منها"[10].

1-ابن حوقل، مصدر سابق، ص192. المقدسي، نفسه، ص140.
2-ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص95.
3-ابن الفقيه، أخبار البلاد، مصدر سابق، ص176.
4-ابن حوقل، مصدر سابق، ص196.
*الفرسخ: في اللغة ثلاثة أميال بالهاشمي، أو اثنا عشر ألف ذراع أو عشرة ألاف وبالمقاييس الحديثة 5544م.الفيروز ابادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: خليل مأمون شيحا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 2005، 257.
5-ابن حوقل، مصدر سابق، ص198 .المقدسي، مصدر سابق، ص140. الإدريسي، مصدر سابق، ص659.
6-ابن حوقل، نفسه، ص190.المقدسي، نفسه، ص190 .ابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تح: ثروت عكاشة، ط4، دار المعارف، ص46.
7-المقدسي، مصدر سابق، ص140. البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر البغدادي، فتوح البلدان، القاهرة، 1901م، ط1، ص176.
8-ابن حوقل، مصدر سابق، ص200.
9-الإصطخري، مصدر سابق، ص75.
10-ابن حوقل، مصدر سابق، ص201 .المقدسي، مصدر سابق، ص140.

ز-ميافارقين: بلد طيب حصين له شرف، قليلة العلم والبساتين حسب قول المقدسي، يشرب أهلها من عيون ونهر دجلة، وصفها ابن حوقل بالمدينة الجليلة العظيمة تميزت بسورها من الحجارة وضيق أسواقها، وبخندقها العميق، جعلها الإدريسي من أرض أرمينية[1].

ي-جزيرة ابن عمر: وهي مدينة صغيرة، بينهما وبين الموصل ثلاثون فرسخا وهي تقع على سفا جرف بين "الخوف" و"الرجاء"، وصفها المقدسي بقوله: "هي بلد كبير يدور عليه الماء من ثلاث جوانب ودجلة بينهما وبين الجبل، وهي طيبة نزيهة" وهي على قول أبو الفداء بلدة تقع فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام[2]، نسبها ابن خلكان إلى يوسف بن عمر الثقفي*. وأوعز بناءها إلى عبد العزيز بن عمر*[3].

وهذا تفصيل لأهم مدن الجزيرة، فلم يسمح لنا المقام بتفصيل كل مدن الجزيرة والتي تبلغ أكثر من خمسين مدينة.

1- المقدسي، مصدر سابق، ص144.ابن حوقل، مصدر سابق، ص202 .الإدرسي، مصدر سابق، ص663.
2-المقدسي، مصدر سابق، ص139.ابن حوقل، نفسه، ص139. أبو الفداء، مصدر سابق، ص333.
*هو ابن محمد بن الحكم ابن أبي عقيل الثقفي أمير العراقيين للمزيد عنه أنظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، مصدر سابق، ج5، ص443.
*وقد قال الواقدي:" أن الذي بنى الجزيرة هو رجل من برقعيد من أعمال الموصل يقال له عبد العزيز بن عمر، فسميت باسمه وقد كانت تسمى دجلة". الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق، تح: عبد العزيز فياض حرفوش، دار البشائر، دمشق ،1996، ص127.
3-ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3، ص349. كما ورد رأي مخالف حول من عمرها وهو يقول إن الحسن بن عمر بن خطاب الثعلبي والذي كانت له إمرة بالجزيرة هو أول من عمرها. أنظر: ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1991م، ج3، ص5.

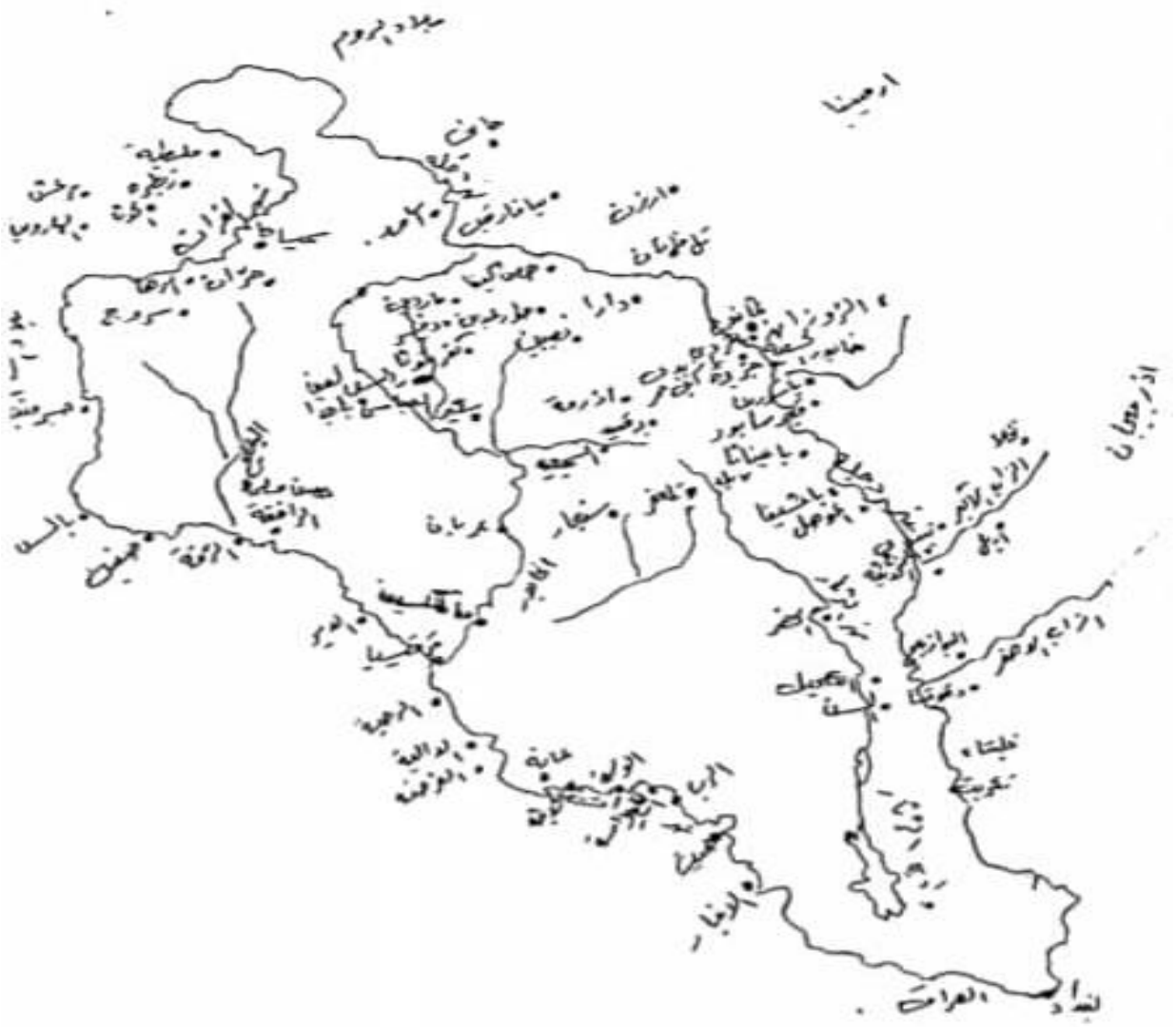

(ملحق 3): خارطة توزيع المدن والقرى الرئيسية في الجزيرة الفراتية[1]

1-هالا عبد الحميد إبراهيم الوريكات، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجزيرة الفراتية فين القرنين الرابع والخامس الهجريين، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2001م، رسالة ماجستير، ص10.

المبحث الثاني: الأوضاع العامة لإقليم الجزيرة الفراتية في القرنين 6-7ه

1- الأوضاع السياسية:

كانت بلاد الجزيرة الفراتية في بداية القرن السادس الهجري تحت سلطة الأمراء السلاجقة، الذين كان بيدهم السلطة الفعلية في إدارة شؤون الدولة العباسية وبعد أن بسطوا نفوذهم على جلّ أقطار العالم الإسلامي أخذوا في تقسيم أقطار البلاد على أمرائهم، وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور نظام الإقطاعات العسكرية والتي عرفت بنظام الأتابكيات*[1].

غير أن السلاجقة لم يستطيعوا الحفاظ على استقرارهم، فبعد وفاة ملكشاه* أخذ الضعف يدب في كيان الدولة السلجوقية ويوهنها الانقسام والتنازع على السلطة. وبدلا من التوسع والسيطرة على أراضي جديدة كما فعل طغرلبك* انشغل بركياق في اخماد الفتن والحركات التي قامت ضده[2]، اضافة إلى الصراعات التي نشأت بين الوزراء، حيث أصبح كل وزير يريد أن تكون له أهمية ونفوذ[3].

ومن بين العوامل الهدامة الخطيرة التي كانت تعمل على تقويض كيان "الدولة الحروب الصليبية" فقد استطاع الصليبيون التوسع في أراض جديدة فسيطروا على أنطاكية سنة

490ه/1098م وعلى بيت المقدس سنة 491ه/1099م، كما أقاموا أول امارة صليبية لهم في مدينة الرها بإقليم الجزيرة الفراتية سنة 490ه/1098م وبذلك أصبح إقليم الجزيرة الفراتية مسرحا للحروب الصليبية[4].

1-ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباتي، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص19.

*الاتابكية هي إمارة يقطعها السلطان السلجوقي لأحد خواصه ومماليكه المقربين الذين يجلبون من بلاد القفجاق، ويربى بعضهم في قصور السلاطين السلاجقة أشهرهم: أتابوكية الموصل وأربل وسنجار وديار بكر...، وأصبح لهذه الأتابكيات نظم عسكرية واقتصادية واجتماعية خاصة ورثها الاتابكية عن السلاجقة أو اقتبسوها من غيرهم للمزيد أنظر: ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص55.

*أبو الفتح ملكشاه جلال الدولة بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سجوق بن دقاق، ثالث سلاطين الدولة السلجوقية تولى الحكم بعد أبيه ألب أرسلان. للمزيد أنظر: ابن خلكان، مصدر سابق، ص187.

*طغرلبك محمد بن ميكائيل السلطان الكبير ركن الدين أبو طالب ثالث حكام السلاجقة وطد أركان الدولة السلجوقية، الذهبي: سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج1، ص200.

2-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1977م، ج5، ط1، 199.

3-الرواندي، محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، تح: إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص220.

4-ابن الجوزي، ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، محمد عبد القادر عطا واخر، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج17، ص47.

وفي النصف الأول من القرن السادس الهجري بدأت الخلافة العباسية تسترد شيئا من قوتها وتملأ الفراغ الذي شغل السلاجقة بخصوماتهم عن ملئه، وتنتهز كل فرصة للعمل على الحد من سلطانهم[1].

كما شهدت المنطقة صراعا آخر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري بين دول الأتابكة أضحى فيه الشرق الإسلامي بشكل عام إقليما مفككا لا وحدة فيه ولا تجانس، حيث لم يعد يأتمر بإمرة رجل واحد، وأضحى لقمة سائغة للغزو المغولي من الشرق، وأصبح كذلك هدفا سهلا للصليبيين من الغرب[2].

2- الاوضاع الدينية والثقافية والعلمية:

لم يدخر أتابكة الموصل والجزيرة جهدا في تشجيع الحركة الثقافية والعلمية والدينية فأنشأوا المدارس وشجعوا أساتذتها وطلابها على تأدية مهامهم.

وخير مثال على هذا المدرسة الأتابكية العتيقة بالموصل وهي من أحسن المدارس، بناها سيف الدين غازي بن أتابك الذي جعلها وقفا على الحنفية والشافعية، كما بنى رباطا للصوفية بالموصل[3].

ويذكر ابن بطوطة في رحلته لمدينة واسط أنها كانت بها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، ومن أهم مشايخها تقي الدين بن عبد المحسن الواسطي، وهو من كبار أهلها وفقهائها[4]. كان إماما بارعا في معرفة المذهب والخلاف. سديد الفتاوى حسن المناظرة[5].

أما في علم النحو واللغة فقد اشتهر في إقليم الجزيرة الكثير نذكر منهم:

- **الماكسيني النحوي:** درس بالموصل واشتغل بها بعلم القرآن والآداب ثم رحل إلى بغداد واجتمع بأئمة الأدب وقد كان واسع الرواية نصب نفسه للانتفاع عليه بالقرآن الكريم وجميع ضروب الأدب[6].
- **أبو العباس ضياء الدين صالح إبراهيم بن أحمد المقري الغارقي:** ولد بميافارقين 615هـ/1218م أتقن العربية وقرأ القراءات وتصدر للإقراء وتعليم النحو توفي سنة 665هـ/1267م[7].

1-ابن الجوزي، مصدر سابق، ج9، ص250، ص255.
2-أحمد حمدي، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر ،1950م، ص114.
3-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج5، ص138.
4-ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي، الرحلة،"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار"، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم، بيروت ،1987م، ج2، ص11.
5-الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية، مصر ،1934م، ص299.
6-ابن خلكان، مصدر سابق، ص278.
7-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، ج2، ص20.

- **شميم الحلي:** أبو الحسن علي بن ثابت الملقب مهذب الدين المعروف بشميم الحلي كان أديبا فاضلا خبيرا باللغة والنحو وأشعار العرب، حسن الشعر، وكان إشتغاله ببغداد على يد أبي محمد ابن الخشاب سافر إلى ديار بكر والشام واستوطن الموصل، جمع من نظمه كتابا سماه "الحماسة"[1].
- **صائن الدين:** هو سابق الدين أبو بكر يحي بن سعدون بن تمام بن محمد الأردي القرطبي أخذ القراءات عن أبي القاسم خلف بن النحاس بقرطبة وعن أبي القاسم بن الفحام بالإسكندرية، وسمع ببغداد من ابن الحصين وأبي العز بن كادش كان ثقة متقنا بارعا في العربية بصيرا بعلم القراءات دينا خيرا ناسكا، وافر الحرمة تخرج به أئمة، حدث عند الحافظان ابن عساكر والسمعاني وعبد الله بن حسين الموصل وفي بالموصل[2].

كما برزت العلوم المحصنة كالطب والرياضيات والهندسة وعلم الفلك وشكلت أهم مجالات النشاط العلمي والثقافي في إقليم الجزيرة ومن أشهر علماء هذا المجال:

- **ابن تيمية:** احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الشهير بابن تيمية الحراني ثم الدمشقي ولد بمدينة حران ودرس بها[3].

كان عالما بأصول الفقه والحديث الشريف وتفوق في العلوم العقلية كالهندسة والحساب والفلسفة، من أسرة عريقة في العلم ضاربة الجذور فيه[4].

- **ابن بحتويه:** أبو الحسين بن عبد الله بن عيسى بن بحتويه، كان طبيبا وخطيبا من أهل واسط لديه معرفة وكلامه في صناعة الطب كلام مطلع على تصانيف القدماء لديه من الكتب كتاب 'المقدمات' ويعرف بكنز الأطباء[5].

وقد كان المسجد والجامع مقرا لتلقي العلوم المختلفة منذ فجر الإسلام إلى حين القرن الخامس الهجري حيث أولى الأتابكة عناية خاصة بالعلم والعلماء وأسسوا معاهد العلم المختلفة من مدارس ودور حديث وأربطة ودور قرآن[6].

ويصف ابن جبير بعض مدارسها فيقول "وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست أو أزيد على دجلة فتلوح وكأنها القصور المشرفة" [7].

وقد ظهرت عديد المدارس في إقليم الجزيرة الفراتية خلال فترة الدراسة نذكر أهمها:

1-ابن خلكان، مصدر سابق، ص339.
2-الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ص547.
3-العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناني، ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، تح: أبو عبد الرحمن سعيد معشاشة، دار ابن حزم، لبنان، 1998م، ط1، ص56.
4-محمد سعيد أرسلان، حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة المنار الجيزة، 2002م، ط1، ص10.
5-ابن ابي صبيعة، موفق الدين ابي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: عامر النجار، دار المعارف، 1996م، ج1، ص297
6-ابن الاثير، الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية، مصدر سابق، ص200.
7- ابن جبير، مصدر سابق، ص105.

- **المدرسة الأتابكية العتيقة:**

بناها سيف الدين غازي بن عماد زنكي وكان من خيرة الملوك، يحب العلم وأهله منطويا على خير وصلاح ودفن فيها بعد موته، وكانت المدرسة من أحسن المدارس وأوسعها وجعلها وقفا على الشافعية والحنفية مناصفة[1].

- **المدرسة الزينية:**

أنشأها في الموصل أين الدين أبو الحسن علي بن بكتكين المتوفى 563ه/1167م. ومن أشهر مدرسي هذه المدرسة يونس بن منعة المتوفى سنة 676ه/1180م ولا يعرف مكان المدرسة بسب ضياع الكثير من الآثار وأخبارها[2].

وقد انتشر في إقليم الجزيرة الفراتية الإسلام بعد الفتح الإسلامي للمنطقة في القرن السابع الميلادي، كما صارت اللغة العربية اللغة الأكثر تداولا وشيوعا بين الناس، وقد كانت الموصل تحتوي على خمسة وثلاثين جامعا وأربعة آلاف مسجد وثمان وعشرين مدرسة ومائة وثمانين دارا للحديث[3].

إلى جانب الديانتين النصرانية واليهودية حيث انتشر النصارى في ماردين والرها وحران وسروج وطور عبدين ومدينة ميافارقين التي عرفت قديما عند النصارى بمدينة الشهداء وبلغ عدد سكان مدينة أرزن من الأرهن اثني عشر ألف نصرانيا[4].

ويذكر آدم متز أن أكثر اليهود وجودا كان على ضفتي الدجلة والفرات في المدن والقرى الواقعة بين نينوى والدجلة[5].

ويذكر ياقوت في القرن السادس الهجري وجود اليهود في مدينة ميافارقين حيث يتجمعون في زقاق سمي باسمهم بالقرب من كنيسة اليهود" التي فيها جرس من رخام أسود فيه منطقة زجاج"[6].

1-السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، طبقات الشافعية، تح: محمد الطناحي واخرون ،1964م، ج3، ص105.
2-ابن خلكان، مصدر سابق، ص252.
3- العمري ياسين بن خير الله الخطيب، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء، تح: سعيد ديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل، 1955م، ص60.
4-ابن جبير، مصدر سابق، ص174.
5-آدم متز، الحضارة الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، ص145.
6-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص704.

3- الأوضاع الاجتماعية:

أسهم في التكوين البشري لسكان الجزيرة الفراتية عدة عوامل أولها و أقدمها نزوح الموجات الجزرية التي خرجت من الجزيرة العربية في أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، وهي موجات آشورية و آرامية ،تدفقت إلى العراق و منه رحلت إلى الشمال حيث نزلت منطقة مابين النهرين و قد وضعت هذه الموجات الأساس البشري لغالبية السكان في تلك الفترات و كانت اليمن و سورية ينابيع بشرية تزود بلاد الجزيرة الفراتية قبل الفتوح الإسلامية بمستوطنين جدد ثم جاء الفتح العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي فكان أعظم حدث في تكوين سكان هذه البلاد من الناحية العنصرية[1].

3.1-التركيبة السكانية لبلاد الجزيرة:

أ-الأكراد:

هم قوم أشداء وأكثرهم أهل بادية وخشونة وجفاء يقيمون في الخيام وينقسمون إلى قبائل وعشائر وبطون وهم أهل قبول للحضارة من الفرس والترك، سكنوا جزيرة العراق كالموصل وديار بكر، وانتشروا في أنحاء مختلف من إقليمها وعاشوا مع العرب في اتفاق ووئام وبعد. اعتناقهم للإسلام ساهموا في مختلف مناحي الحياة، وكانوا يسكنون في الجهات المرتفعة الشرقية والشمالية الشرقية من الإقليم[2].

ب-التركمان:

هم شعوب تركية الأصل من آسيا الصغرى استقدمهم الأراتقة للقتال معهم وتحقيق أهدافهم التوسعية في ديار بكر وقد كانت هذه الأخيرة أحد نقاط البلد الكبيرة للهجرة التركمانية الواسعة في الفترة ما بين 581هـ-586هـ/ 1190-1185 ولم يشكل التركمان أغلبية ساحقة في الجهات التي استقروا فيها، تركز نفوذهم في الجهات الوسطى والجنوبية من ديار بكر[3].

ج-العرب:

سكن العرب بلاد الجزيرة قبل الميلاد، وكانوا يسمون الموصل وبلاد الجزيرة بالموصلان، ومن القبائل العدنانية التي سكنت إقليم بلاد الجزيرة[4]:

إياد وهي من القبائل التي نزحت إلى الفرات واستمروا بزحفهم إلى أرض الجزيرة[5].

1-البلاذري، مصدر سابق، ص205، ص 237.
2- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، القاهرة، 2012م، ج3، ص219.
3-عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1980م، ص474.
4-سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1982م، ج1، ص17.
5-نفسه، ص17.

النهر: كانت قبيلة ذات مكانة مرموقة وقد ساعدوا الجيش الإسلامي في فتح تكريت والموصل، إضافة إلى قبيلة قضاعة، تثفيف وبنو شيبان بطن من بطون بكر بن وائل وهي القبيلة التي إنتشرت إلى ديار بكر التي عرفت بها وسكنوا في الربض الأعلى من الموصل[1].

وقد سكن إقليم الجزيرة فئات أخرى على شكل أقليات منهم الجراغمة والذين اختلف المؤرخون في أصلهم والآشوريون الذين نزحوا من جزيرة العرب وكان لهم شأن في التاريخ، وبعد انقراض دولتهم اندمجوا مع العرب واعتنقوا الدين الإسلامي[2].

أما بالنسبة للتوزيع السكاني في المنطقة فيمكن القول إنه مرتفع في مدن الجزيرة الفراتية في القرن السادس الهجري مقارنة مع القرى، وهذا حسب ما ذكر الإصطخري واصفا مدينة الموصل ودنيسر وهيت والحديثة: "مدن غناء، نزهة، عامرة، آهلة كثيرة البيوت والعمارة "،وابن حوقل يقول واصفا أحد مدن الجزيرة:" الموصل أضعاف أعمال نصيبين في فسحة الأعمال وكثرة الضياع وعظم المحل وغرز السكان وأهل الأسواق"[3].

1-نفسه، ص21.
2-سعيد ديوه جي، تاريخ الموصل، مرجع سابق، ص23.
3-ابن حوقل، مصدر سابق، ص194.الاصطخري، مصدر سابق، ص73.

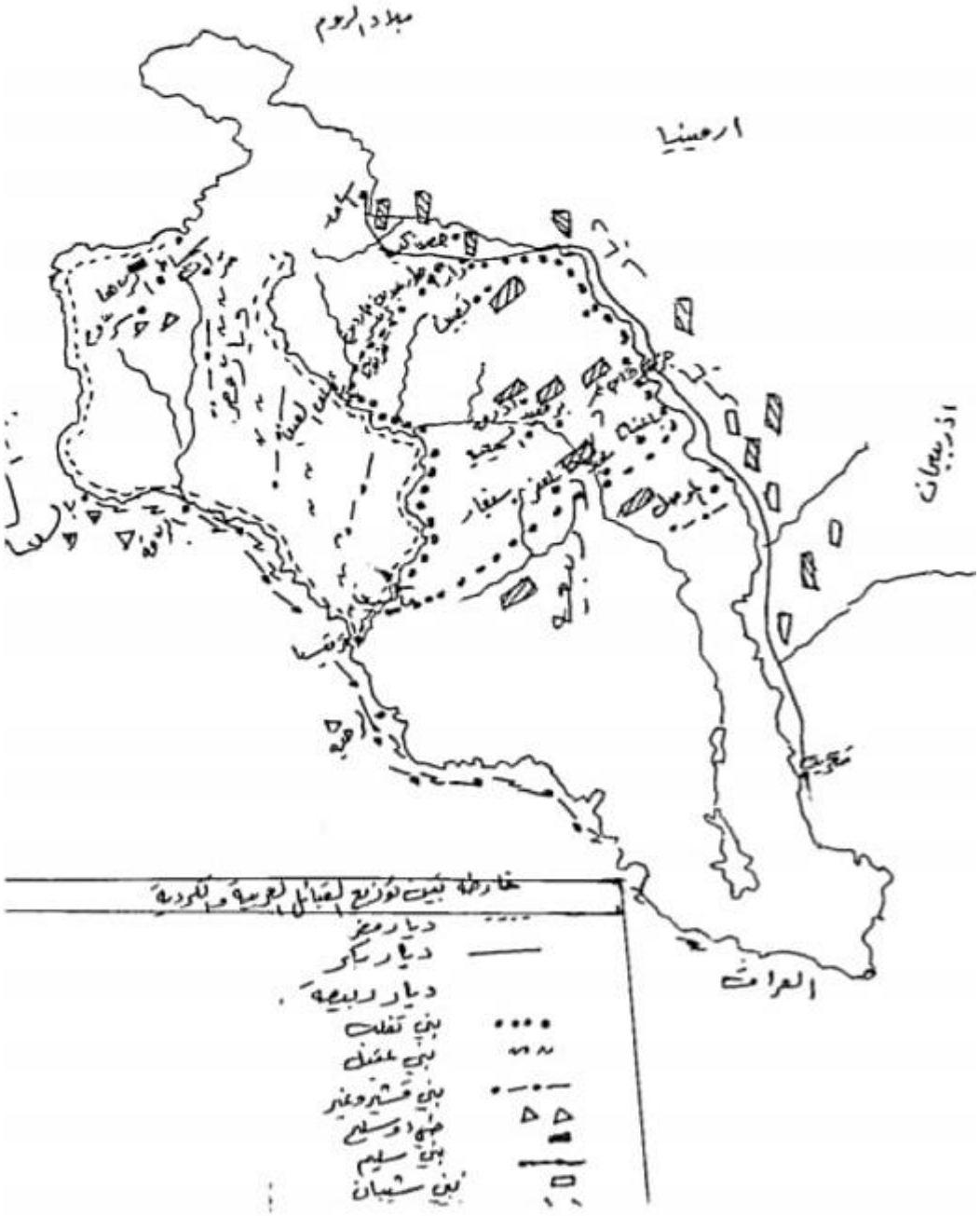

(ملحق 4): خارطة تبين توزيع القبائل العربية والكردية.[1]

1-هالا عبد الحميد الوريكات، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في إقليم الجزيرة الفراتية، مرجع سابق، ص76.

المبحث الثالث: أهمية إقليم الجزيرة الفراتية

إحتل إقليم الجزيرة الفراتية أهمية بالغة عند المؤرخين والجغرافيين المسلمين فأولوه إهتماما خاصا وأفردوا له الفصول والصفحات الطوال من كتبهم للحديث عنه والغوص في ثناياه، فوصفه ابن حوقل بقوله: "إنه إقليم جليل بنفسه شريف بسكانه وأهله "،ثم أردف قائلا: " كانت معدن الأبطال وعنصر الرجال وينبوع الخيل والعدة"[1].

ويبدوا أن هذه الأهمية قد نالها الإقليم لامتيازه بموقع هام وفريد، فقد لعب موقعه المتوسط بين العراق وبلاد الشام وأرمينية وأذربيجان دورا هاما وجعله يمثل جسرا أرضيا يوصل بين طرق المواصلات البحرية في جنوبي آسيا وجنوبي أوروبا. فالجزيرة تقع بين البحر المتوسط والخليج العربي[2].

فقد مثل إقليم الجزيرة الفراتية أقصر الطرق بين غربي وجنوبي أوروبا وبين جنوب شرقي آسيا وأواسطها وهو ما أضاف أهمية لموقعها الاستراتيجي[3].

وهذا المقدسي يصف الإقليم بقوله: «وهذا أيضا إقليم نفيس ثم له فضل لأن به مشاهد الأنبياء ومنازل الأولياء .... ثم هو ثغر من ثغور المسلمين ومعقل من معاقلهم»[4].

أما الطبري فيشير إلى أهمية الإقليم بقوله: «بأنها أسهل البلدان أمرا وأيسرها فتحا*»[5].

فبالإضافة إلى الموقع الجغرافي الذي أعطى الإقليم أهمية كبيرة بين الأقاليم كذلك نجد أن كون الجزيرة موطن الكثير من القبائل العربية المشهورة والتي سميت ديار الجزيرة بأسمائها: ديار بكر، ديار مضر، ديار ربيعة، قد أضاف للإقليم أهمية عند العرب والمسلمين[6].

كما شهدت هذه المنطقة صراعات دامية على مر العصور بين مختلف القوى الطامعة فيها كان آخرها خلال القرن السادس للهجري بين الدولتين الساسانية والبيزنطية، حتى تمكن العرب من تحريرها مطلع القرن السابع للهجري وطرد المحتلين منها[7].

1-ابن حوقل، مصدر سابق، ص190.
2-محمد جمال الدين سروز، تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، القاهرة،1967م، ط2، ص144.
3-نفسه، ص145.
4-المقدسي، مصدر سابق، ص136.
5-الطبري، محمد بن جليل بن يزيد بن كثير بن غالب، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة عز الدين، بيروت،1985م، ج4، ص53.
*يقول ابن الاثير في حوادث سنة 17 هـ: وكان فتح الجزيرة سنة 17هـ على يد عياض بن غنم، والبلاذري وابن الفقيه: أن الجزيرة فتحت في عهد عمر بن الخطاب بينما ذهب بن خلدون إلى أن فتحها كان في عهد الخليفة عثمان بن عفان. للمزيد انظر: محمد يوسف غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ط1، ص15.
6-أسقر محمد، شعراء الجزيرة الفراتية في العصر العباسي، جامعة حلب-كلية الأداب والعلوم الإنسانية، 1996م، ص5.
7-عبد الحكيم الكعبي، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق،2009، ص9.

كما أعطى الجانب الاقتصادي للجزيرة أهمية خاصة، حيث ذكرت بساتينها وما تنتجه الأشجار من ثمار ووفرة الأراضي السهلية القابلة للزراعة والرعي[1].

إضافة إلى وفرة المياه، فقد امتاز الإقليم بعديد الأنهار الكبيرة والصغيرة والعيون المائية الطبيعية والمعدنية، أهمها:

- نهر دجلة ونهر الفرات ونهر البليخ ونهر الخابور*[2].

فنهر الفرات يخترق أرض الجزيرة بعد خروجه من بلاد الروم، وقد أدى دورا كبيرا في ري المنطقة وجعل أراضيها خصبة[3].

ومن روافده نهر البليخ ونهر الخابور ونهر الهرماس ونهر الثرثار ونهر أرسناس وغيرها من الروافد[4].

نهر دجلة والذي وفر كميات كبيرة من المياه للمنطقة ومن روافده: الزاب الأعلى والزاب الأسفل وهما نهران كبيران عظيمان[5].

فيقول ابن الفقيه "وبالجزيرة الزابان وهما نهران كبيران إذا جُمعا يكوّنان نحو نصف دجلة[6]، إضافة الى نهر النهروان الذي يصب في دجلة[7].

كما يعبر المقدسي عن صفاء مياه الموصل فيقول: "ولا أعرف به ماءا رديا ولا واديا وبيا ولا طعاما لا تجده مريا"[8].

أما عن مناخ إقليم الجزيرة الفراتية فيصفه ياقوت الحموي بقوله: "والجزيرة صحيحة الهواء"[9]، أما المقدسي فيقول: "أما الهواء فمقاربة للشام، مشابهة للعراق وبه مواضع حارة، وكورة آمد باردة لقربها من الجبال"[10]، وعليه فمناخ إقليم الجزيرة الفراتية يشبه مناخ الشام والمناطق الجبلية باردة وفيرة الأمطار، فإتصفت الجزيرة بمناخ ممطر معتدل، وبالمجمل فالمناخ والسطح الذي تميز بالتنوع من جبال وهضاب وسهول، والعيون والأنهار قد ساهمت بطبيعة الحال بتنوع المحاصيل والثروة الحيوانية، فهذا المسعودي يقول: عندما سأل عمر بن الخطاب عن الجزيرة، قيل له:" أنها خصبة جدا"[11].

1-سوادي، مرجع سابق، ص36.

*الخابور: نهر من عيون تجتمع وتصب إلى الفرات، مخرجه من رأس العين، ويستمد من الهرماس ويصب في الفرات/للمزيد أنظر: المقدسي، مصدر سابق، ص144. الهمذاني، أخبار البلدان، ص181. ابن سباهي زاده، محمد بن علي البروستري، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان، تح: المهدي عبد الرواخية، دار العرب الإسلامي،2006، ط1، ص70.

2-فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية، القاهرة، 1966، ص147.

3-ابن حوقل، مصدر سابق، ص179.

4-المقدسي، مصدر سابق، ص144.

5-ابن حوقل، مصدر سابق، ص205.

6-ابن الفقيه، أخبار البلدان، مصدر سابق، ص271.

7-ابن رسته، مصدر سابق، ص90.

8-المقدسي، مصدر سابق، ص142.

9-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص134.

10-المقدسي، مصدر سابق، ص140.

11-المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت،1965، ط1، ج3، ص37.

وقد أسهم كل من المناخ والموقع الجغرافي والموارد المائية في قيام صناعات متنوعة أدت إلى زيادة نشاط التجارة والأسواق بالجزيرة، وكل هذا سنتطرق إليه بالتفصيل في الفصول القادمة بحول الله.

الفصل الأول

النشاط الزراعي في إقليم الجزيرة الفراتية

المبحث الأول: أساليب الري والنظام الاقطاعي في إقليم الجزيرة الفراتية

لا يختلف اثنان حول أن الماء هو عماد الحياة لكل الكائنات، ولا حياة بدون ماء. وقد نزلت عديد الآيات التي تبرز أهمية الماء ودوره في الحياة، فيقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: «وجعلنا من الماء كل شيء حيّ»[1]، ويقول عزّ وجل في موضع آخر: «وأنزلنا من السماء ماءا فأخرج به من الثمرات رزقا لكم»[2]. ويقول تعالى: «هو الذي أنزل من السماء ماءا لكم منه شراب ومنه شجر»[3].

ويعتبر الماء عنصرا مهما جدا في الزراعة، بحيث لا يمكن الاستغناء عنه ولا تقوم زراعة بدونه، وقد تميز إقليم الجزيرة الفراتية بوجود المجاري والوديان والأنهار، والتي ساهمت في تكوين السهل الرسوبي* الذي يشكل أهم منطقة من أرض الجزيرة[4].

1- الأنهار:

ومن بين الأنهار التي ساهمت مساهمة فعالة في ري الإقليم نجد:

أ- نهر الفرات:

ويقال أنّ أصل الكلمة سومري، ووردت في النصوص القديمة تحت مسمى «بورتم» أو «يوراتي»[5].

وقد إحتفظ النهر بإسم الفرات منذ العصور القديمة فلم تتغير التسمية منذ أطلقت عليه[6]، ويتميز نهر الفرات بأنه أطول من نهر دجلة وأكثر تعرجا، إضافة الى اتساع واديه وعمقه[7].

ويقول ابن رسته عن منبع نهر الفرات: "إن الفرات يخرج من بلاد الروم، فوق موضع يقال له "إبريق" فيقبل مع الشمال حتى يمر بالجزيرة والرقة، ثم ينحدر إلى الكوفة"، ثم يردف قائلا: " وفي غربيه بلاد الشام وفي شرقيه بلاد الجزيرة، ثم ينصب في البطائح بعد أن يتفرع فيصير أنهارا عظاما ومصبه بموضع كسكر*[8]".

1-سورة الأنبياء، الآية 30.
2-سورة البقرة، الآية 22.
3-سورة النحل، الآية 10.
4-سوادي، مرجع سابق، ص181.
5-أحمد أمين سليم، تاريخ العراق، إيران، أسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص23.
6-غسان الشيخ الخفاجي، السيرة الذهبية، دار مؤسسة رسلان، سوريا، دمشق، 2019م، ج1، ص13.
7-أحمد أمين سليم، مرجع سابق، ص24.
*كسكر مدينة تقع على الجنوب الشرقي من دجلة مقابل مدينة واسط وذكر ياقوت الحموي أن اسمها كان معربا عن اللغة الفارسية، وقد قام العرب بفتحها وحصلوا منها على غنائم كثيرة للمزيد أنظر: ابن رسته، الأعلاق النفسية، ج1، ص322.
8-ابن رسته، مصدر سابق، ص94.

أما المقدسي فيصف نهر الفرات بقوله: "وأما الفرات فإنه يخرج من بلد الروم ثم يتقوس على إقليم آقور ويتشعب إليه الخابور، ثم يدخل العراق وينبطح خلف الكوفة ويلقى دجلة"[1].

بينما يذهب قدامه ابن جعفر عند حديثه عن الإقليم السادس ويذكر نهر الفرات وأن أوله من عين في بلد الروم تخرج من "جبل بروجس" ويمر غربا في بلاد الروم من حافة جبل "مسفينا" ثم ينعطف حوالي أربعمئة وخمسين ميلا ليتجه جنوبا وينزل ما بين ملطية وشمشاط في أقصى الشمال الشرقي للجزيرة الفراتية ثم يمر بمدينة هتريط ويتجه غربا حتى مدينة جسر منبج ثم ينعطف جنوبا ويمر ببالس والرقة وقرقيسيا والرحبة ويحيط بعانة ثم يغادرها إلى هيت فالأنبار[2].

أما الإصطخري فيذكر أن مخرج الفرات من داخل بلاد الروم إلى ملطية ثم إلى شمشاط وجسر منبج وبالس والرقة وقرقيسيا والرحبة وهيت ثم الأنبار، وهو نفس ماذهب إليه قدامة ابن جعفر.

بينما ابن حوقل يقول بأنه مخرجه إلى سميساط وليس شمشاط[3]، وحتى وإن كانت هذه الإشارات تشير إلى القرن الرابع للهجري إلا أنها ما ظلت سائدة في القرن السادس والسابع للهجري[4].

أما الحموي الذي عاش في القرن السادس للهجري، فقد بين أن مخرج الفرات من أرمينية، ثم من قليقلا* قرب خلاّط، ويدور بتلك الجبال حتى يدخل أرض الروم ويجيء إلى كمخ*. ويخرج إلى ملطية ثم إلى شميشاط. وبيّن أن عدة أنهر تصب فيه ومنها:

نهر سنجة وكيسوم وديصان والبليخ*، حتى ينتهي نهر الفرات إلى قلعة نجم مقابل مدينة منبج، ثم يواصل الفرات سيره بمحاذاة بالس ومنها إلى دوسر والرقة ورحبة مالك بن طوق، ثم إلى عانة وهيت، فيصير أنهار تسقي زرع السواد[5] وحديث الحموي إن دل على شيء فإنما يدل على أن معظم تفرعات وروافد نهر الفرات في القرن الرابع للهجري قد ظلت على ماهي عليه خلال القرن السادس للهجري.

1-المقدسي، مصدر سابق، ص20.

2-قدامة بن جعفر، نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق،1981م، ص233.

3-ابن حوقل، مصدر سابق، ص189.

4-سوادي، مرجع سابق، ص184.

*قليقلا: بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة، وتقع في الإقليم الرابع طولها ثلاث وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة، وعرضها ثمان وثلاثون درجة، للمزيد أنظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص19، ص20. قدامه بن جعفر، مصدر سابق، ص326.

*كمخ: مدينة بالروم، وهي مدينة حصينة حسنة المطلع، نافقة المتاجر والصنع، للمزيد أنظر: الإدريسي، مصدر سابق، ص577. النويري، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتاب، ج22، ص.40ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص479.

5-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص760.

أما ابن عبد الحق في كتابه مراصد الإطلاع فيذكر لنا أن نهر الفرات مخرجه من ملطية إلى سميساط، وتصب فيه عدة أنهار صغيرة: كسجنة وكيسوم مرزفان والبليخ، ثم يتجاوز بالس إلى دوسر والرقة، ثم إلى عانة وهيت، فيصبح أنهارا تسقى منها زروع السواد[1].

وقد كان لنهر الفرات دورفي ري وسقي إقليم الجزيرة الفراتية والمساهمة في إزدهار الزراعة فيها، وجعل أرضها خصبة، فيقول الهمذاني: «كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعر بابا وهي الموصل لقدرها عندهم ...وعن ريف الجزيرة وما يليها لأنها تعدل في خصب باعر بابا» [2].

ومن روافد نهر الفرات نجد:

❖ نهر البلّيخ*:

ويعد رافدا مهما من روافد نهر الفرات وأداة لسقي وري أراضي إقليم الجزيرة الفراتية[3]، وقد أقام الأمير الأموي مسلمة بن عبد الملك في أحد مواضعه سدا طوله مئتا ذراع وعرضه مئتا ذراع وعمقه عشرين ذرعا، معقودة بالحجارة ويجري تخزينه من أحد تفرعات نهر البليخ في كل سنة مرة واحدة وعند ملئه، سيكون كافيا لأغراض الناس وسقي وري بساتينهم وأراضيهم[4].

ويشير " سوادي عبد محمد " في كتابه الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية إلى أنه حتى ولو لم يشر ياقوت الحموي إلى وجود هذا السد في القرن السادس للهجري، ولكن يمكن القول بأن هذا المشروع ظل قائما في هذه الفترة والفترة التي تليها[5].

❖ نهر الخابور:

يقع حسب الإصطخري في قرقيسيا ومسافته نحو عشرين فرسخا[6]، بينما ذهب شمس الدين الدمشقي، إلى أن طول الخابور سبع فراسخ[7]، ويصفه ياقوت في معجمه فيقول: " إنها ولاية واسعة وبلدان جمة، غلبت عليها اسمه، فنسب إليه من بلاد قرقيسيا

1-ابن عبد الحق، مصدر سابق، ج2، ص337، ص339.
2-ابن الفقيه، أخبار البلدان، ص182.
*البليخ: اسم نهر بالرقة، يجتمع فيه الماء من عيون وأعين العيون عين يقال لها الذهبانية في أرض حران فيجري فحو خمسة أميال ثم يسير الى موضع قد بنى عليه مسلمة بن عبد الملك حصنا يكون اسفله قدر جريب. أنظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص493.
3-سوادي، مرجع سابق، ص189.
4-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص287.
5-سوادي، مرجع سابق، ص189.
6-الإصطخري، مصدر سابق، ص74.
7-شيخ الربوة، شمس الدين محمد بن أبي طالب الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تص: اغشطش بن يحيى، مطبعة الاكاديمية الإمبراطورية، بطربرغ ،1965م، ص174.
*ولم تقتصر الأنهار على الخابور والبليخ، بل ذكرت عدة أنهار تصب في الفرات كنهر ارسناس ونهر الوقية، نهر ابريق ونهر قباقب ونهر الثرثار وغيرها من الأنهار. للمزيد: انظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص271، ص272. أبو الفداء، تقويم البلدان، ص55.

وماكسين والمجدل وعرابات ...وينبع هذا النهر من رأس العين التي تقع في وسط بلاد الجزيرة ويضاف إليها نهر الهرماس ويكوّنان معا نهرا عظيما يسقي البلاد"*[1].

ب-نهر دجلة:

ينبع نهر دجلة تحت رباط ذي القرنين من كهف الظلمات بإقليم آقور فوق الموصل[2] حسب المقدسي، أما ابن خرداذبة فقد ذهب إلى أن مخرجه من جبال السلسلة الواقعة في هضبة الأناضول[3]، أما ياقوت الحموي فيذكر أن منبع دجلة من مكان فيها عين أسماها عين دجلة بالقرب من آمد، وبالتحديد بالقرب من موقع يعرف ب "هلورس" من كهف الظلمات[4].

فنستطيع القول أنّ منابع دجلة بالقرب من مدينة آمد عند حدود أرمينية، ولدجلة عدة روافد تصب فيها كالفرات، نذكر منها: نهر بيرني، نهر باعيناثا*، نهر البؤيار*، ووادي دوشا*، نهر الزاب الأعظم، نهر الزاب الأسفل[5]، نهر الكلاب، هذا الأخير الذي جعله ابن عبد الحق صاحب مراصد الإطلاع أحد روافد دجلة، بينما ياقوت الحموي جعله أحد روافد الفرات[6].

وقد لعبت هذه الأنهار خاصة الزابين الأعلى والأسفل دورا هاما في ري الأراضي الشرقية من دجلة وبساتينها وضياعها[7].

أما الأراضي الغربية لدجلة فنجد نهر "القاطول الأعلى" الذي يروي المزارع ويسقي الأراضي والقرى في الجهة الغربية لدجلة حتى يمر بقرية "صولى" فإذا تجاوزها عرف بالنهروان، ويعد هذا النهر أعظم مشاريع الري في عراق القرون الوسطى حيث يجري مسافة طولها حوالي ثلاثمائة متر، ويبلغ عرضه في بعض أقسامه مائة وعشرون مترا بعمق عشرة أمتار في بعض النقاط[8].

وهناك إشارة في تقويم البلدان إلى أنه كان موجودا خلال القرن السادس والسابع للهجري حيث مازال يمر بالقرى والمدن في تلك المنطقة ويسقيها ثم يعود فيصب في دجلة[9].

1-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص383.
2-المقدسي، مصدر سابق، ص144.
3-ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص174.
4-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص551.
*نهر باعيناثا: قرية كبيرة كالمدينة من أنزه المواضع تشبه بدمشق، أنظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص472.
*نهر البؤيار : ذكره ياقوت الحموي تحت اسم بريار. ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص441.
*وادي دوشا: يخرج من زوزان فيما بين أرمينية وأذربيجان، ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص441.
5-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص551.ابن عبد الحق، مصدر سابق، دج2، ص 515.
6-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص750.ابن عبد الحق، مصدر سابق، ج1، ص391.
7-سوادي، مرجع سابق، ص194.
8-جعفر خصباك، مرجع سابق، ص157.
9-أبو الفداء، تقويم البلدان، مصدر سابق، ص132.

كما كان السكان خلال القرن السادس للهجري والسابع يقومون بحفر عيون وآبار أفقية أطلق عليها اسم "الكهاريز" *والتي كانت سائدة الاستعمال في منطقة إقليم الجزيرة الفراتية وقد يكون نهر ديالي الذي يخترق المنطقة كان من الوديان الجافة، العديمة الجريان طوال السنة[1].

وقد كانت الجزيرة الفراتية تعتمد بالدرجة الأولى على توفر المياه القرنية والمتمثلة أساسا في دجلة والفرات وروافدهما، وقد امتدح القزويني بساتين الموصل وأشاد بنشاط أهلها وانتفاعهم من مياه دجلة بشكل جيد وذلك عن طريق شق القنوات ونصب النواعير والطواحين على النهر والتي يديرها الماء بنفسه[2].

ولكننا نجد أن القرن السادس للهجري والقرن السابع للهجري قد شهد عديد المرات جفاف هذه الأنهار والعيون والينابيع، حيث أنه وفي سنة 563هـ/1142م انحبست الأمطار فانعدمت مياهها وكان ذلك سببا في جفاف العيون والينابيع[3].

وحدث قبلها في سنة 514هـ/1121م إنخفضت درجة الحرارة انخفاضا شديدا استمر أربعين يوما، فجمدت مياه نهر الفرات وغيره من الأنهار حتى أمكن الاجتياز عليها كاليابسة[4].

وبطبيعة الحال فإن جمود مياه الأنهار أو قلة منسوبها قد أثر على المصدر الرئيسي والأولي للمياه في إقليم الجزيرة الفراتية خاصة خلال فترة الدراسة، وهو ما أدى إلى تلف الغلال وتفشي المجاعات في كثير من الأحيان، حيث نجد أنه في سنة 628 هـ/1230م حدث أن هلكت المزروعات بسبب قلة مياه الأنهار[5] ،وفي سنة 633هـ/1235م تجمدت مياه نهر الفرات بسبب برد شديد أصاب المنطقة، حتى جفت الأشجار والكروم، ولم تسقط الامطار على الزرع[6].

* الكهاريز: جمع مفرد كهريز وهو نفق منقور تحت سطح الأرض في أقاسمها الصخرية وتمتد من جبل سنجار عدة كهاريز إلى القرى الملحقة بها. أنظر: عبد الرزاق الحسيني، موجز تاريخ البلدان العراقية، 1930م، ط1، ص141.

1-سوادي، مرجع سابق، ص197.

2-القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، ج1، ص491.زكرياء بن محمد، دار صادر، بيروت،1960م.

3-السرياني، ميخائيل، تاريخ مار ميخائيل الكبير، تر: مارغريغوريس صليبا شمعون، دار ماردين، حلب، 1996م، ط1، ج3، ص252.

4-نفسه، ص174.

5-ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تح: أحمد أبو ملحم، بيروت، 1987م، ج13، ص128.

6-ابن العبري، مخطوطة تاريخ الأزمنة، تح: شادية توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007م، ط1، ص101.

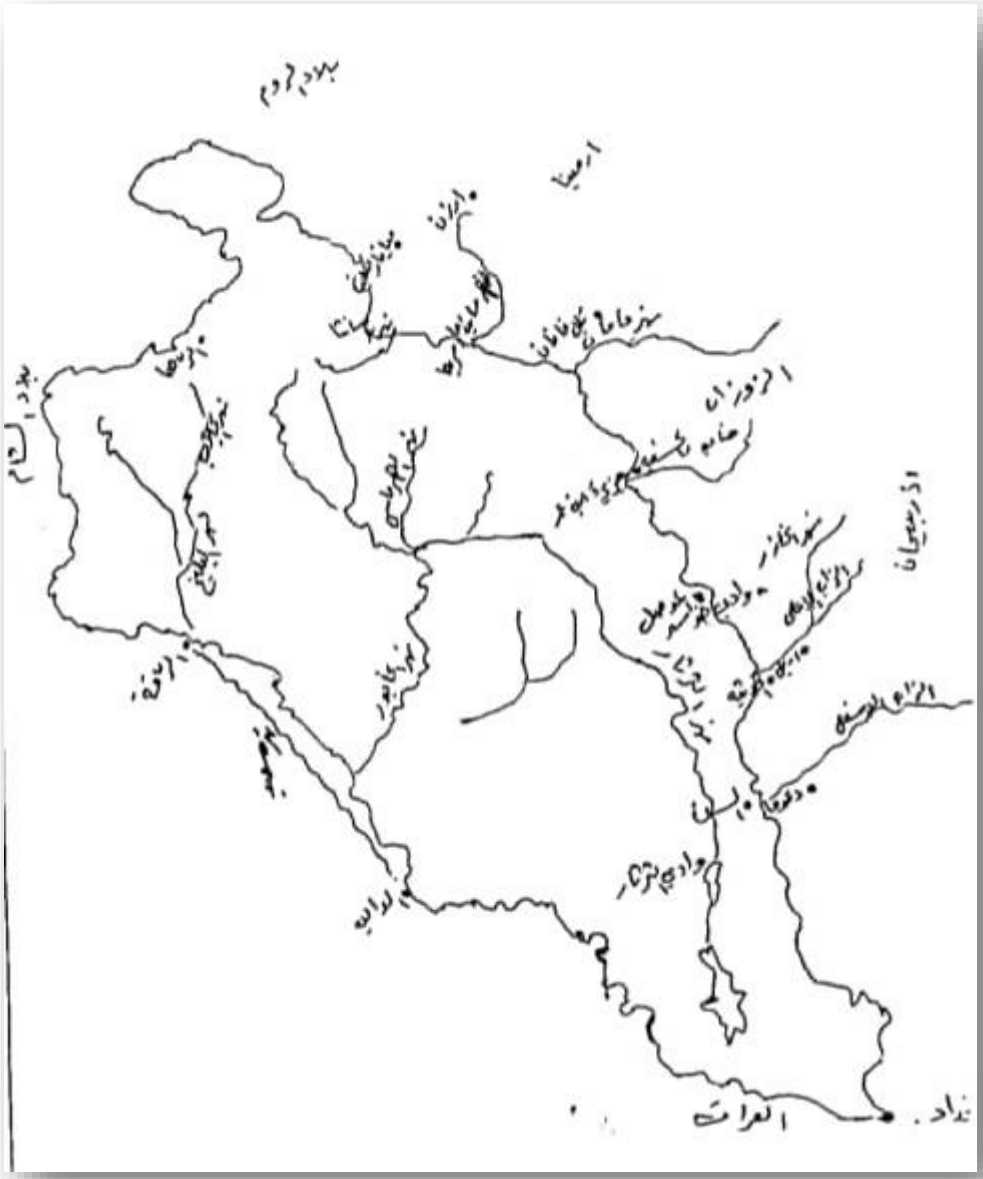

(ملحق5): خارطة تبين توزيع الموارد المائية الرئيسية في الجزيرة الفراتية.[1]

1-هالا عبد الحميد الوريكات، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في إقليم الجزيرة الفراتية، مرجع سابق، ص43.

2- الأمطار:

لم يقتصر إعتماد إقليم الجزيرة الفراتية على الأنهار وروافدها وتفرعاتها في سقي المزروعات وريها فقط ، وإنما كانت الأمطار إحدى أهم وسائل الري في المنطقة، خاصة في المناطق الجبلية الشمالية والشمالية الشرقية[1] وبعض السهول والمناطق الواقعة بين السلاسل الجبلية ، حيث كانت مناطق واسعة من الإقليم تعتمد على الأمطار لسقي مزروعاتها فهذا الإصطخري وفي معرض حديثه عن مدينة جسر منبج البعيدة عن الأنهار يذكر أن الغالب على مزارعها الإعتماد على الأمطار ، فكانت تتميز بالخصب أرضها[2] ولكن الأمطار كانت كثيرا ما تنقطع عن السقوط فتسبب لعديد المدن المعتمدة عليها في الزراعة أضرارا جمة.

ففي سنة 517هـ/1124م حصلت مجاعة في الشام والموصل والجزيرة، وقد أشار ابن القلانسي أن السبب هو إحتباس الغيث، ودامت هذه المجاعة والقحط والغلاء حتى سنوات519 هـ/1126م[3].

وفي سنة 535هـ/1141م سقط برد رهيب على حصن زياد* حطم الأشجار وقضى على الزرع وفي سنة 536هـ/1142م انحبست الأمطار فانعدمت مياهها[4].

كما شحت الأمطار سنة 571هـ/1175م فتلفت الغلال وتفشت المجاعة[5].

ويشير ابن الجوزي، إلى أنه في سنة 574هـ/1178م حدثت مجاعة وغلاء شديد امتد حتى سنة 575هـ/1179م وسببه أن الناس خرجوا للاستسقاء فلم يستقوا[6].

كما أدى عدم سقوط الأمطار في مواعيدها وقلتها في بعض المواسم إلى مجاعات كبيرة في القرن السابع للهجري، ففي سنة 620هـ/1222م و621هـ/1223م حصل تذبذب وشحة في كمية الأمطار ولفترات غير اعتيادية[7]، ففي الموصل حدثت مجاعة بسبب قلة الأمطار واستمرت المجاعة حتى سنة 623هـ/1226م بسبب قلة الأمطار، وهو ما أدى إلى انتشار وباء هلك منه كثير من الناس بسبب أكلهم للميتة والكلاب والسنانير[8].

1-سوادي، مرجع سابق، ص197.
2-الإصطخري، مصدر سابق، ص74.
3- القلانسي. أبو يعلى حمزة بن أسند ابن علي، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، 1907، ص189. عن: مها سعيد حميد، الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي، مجلة دراسات موصلية، 2011، العدد 33، ص79.
*حصن زياد: بين أمد وملطية وهو إلى ملطية أقرب. أنظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص264.
4-السرياني، مصدر سابق، ج3، ص252.
5-نفسه، ص336.
6-ابن الجوزي، مصدر سابق، ج6، ص390.
7-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص42.
8-ابن الأثير، التاريخ الباهر، مصدر سابق، ص178.

وفي سنة 624 هـ/1226م إنقطع المطر حتى منتصف آذار تقريبا وقد سبب ذلك غلاء شديدا[1].

كما كان يصاحب قلة الأمطار ومياه العيون غلاءا شديدا، وهلاكا في المزروعات كما حدث سنة 628هـ/1230م، إضافة إلى أنه في عديد السنين كان يصاحب قلة الأمطار برد شديد ففي سنة 633هـ/1235م قضى البرد على عديد الأشجار والمحاصيل[2].

ولم يقتصر الأمر على ندرة الأمطار بل شهدت المنطقة كذلك سقوطا متزايدا للأمطار في بعض الفترات من القرن السادس والسابع الهجري، ففي عصر الدولة الأتابكية التي عاصرت الدولة العباسية ما حدث سنة 569هـ/1173م توالت سقوط الأمطار على الموصل وغيرها من البلاد، ودامت حوالي أربعين يوما، لم تظهر الشمس فيها سوى مرتين، فغرقت المساحات الزراعية وأتلفت المحاصيل[3].

وفي سنة 647هـ/1249م ورد أنه جاء سيل عظيم على السلامية*، فأهلك خلقا وأتلف الزرع[4].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن عديد المدن والمناطق الزراعية كانت تعتمد على مياه الأمطار كمدينة سمرت، وهي مدينة تقع في الشمال الشرقي من دجلة بالقرب من ميافارقين ويجري ري جميع بساتينها وأراضيها بواسطة مياه الأمطار وهو الحال بالنسبة لمدينة غرسة والتي تقع في كورة بين النهرين بين الموصل ونصيبين والتي تعتمد على مياه الأمطار بصفة خاصة وكبيرة[5].

3- السدود والدواليب والآبار والقنوات:

إعتمد نظام الري في إقليم الجزيرة الفراتية على الآبار والقنوات الجوفية وهي عبارة عن آبار تحفر تحت الأرض وتوصل بعضها إلى بعض حتى تظهر على سطح الأرض[6].

كما إهتم سكان الجزيرة الفراتية منذ القرن الرابع وحتى القرن الثامن للهجري خاصة القاطنون في السهول وعلى ضفاف الأنهار ووسط الجزيرة بإبتكار الأساليب المتعددة في بساتينهم وأراضيهم. فنجد حصن مسلمة بن عبد الملك والذي أنشأه الخليفة الأموي مسلمة سنة

1-ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج12، ص193.
2- نفسه، ص417.
3-نفسه، ص424.
*السلامية: قرية كبيرة بنواحي الموصل على شرقي دجلة تشرف على دجلة وهي أكبر قرى الموصل وأحسنها. أنظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص56، ص57.
4-الذهبي. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تح: خضر عباس محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988، ط1، ص218.
5-أبو الفداء، تقويم البلدان، ص279. ابن عبد الحق، مصدر سابق، ص307.
6- الحارثي، مرجع سابق، ص193.

(100هـ/717م) والذي مثل مشروعا مهما للري بين مدينة رأس العين والرقة واستمر حتى القرون اللاحقة[1].

وهنا تجدر الإشارة إلى قول ابن شداد في مؤلفه الأعلاق الخطيرة، حيث يقول "كان أهل ميافارقين يشربون من الآبار"[2]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على اعتماد أهالي المناطق الداخلية والواقعة في السهول على مياه الآبار والسدود والقنوات وغيرها.

ويكمل ابن شداد حديثه عن مدينة ميافارقين قائلا: "فأجرى سيف الدولة من العين التي بالبلد والمعروفة برأس العين قناة، وساقها وسط البلد ... وأجراها في المدينة إلى أن أوصلها إلى القصر العتيق، وهي أول قناة سقت المدينة"[3] ، وبناء على ذلك فنستطيع القول بأن عديد القنوات أقيمت بعدها في المدينة على حسب قول ابن شداد.

وأما ياقوت الحموي فقد أشار إلى القنطرة العظيمة التي صنفها ضمن عجائب الدنيا مشيرا إلى أنها بنيت على نهر صنجة بين ديار بكر ومضر[4].

كما نجد "قنطرة خانقين العظيمة" والمتكونة من 24 طاقا*، كل طاق يبلغ عشرين ذراعا وقد كانت تسيطر على توزيع المياه للري فضلا عن كونها جسرا للعبور[5].

ولابد للإشارة هنا إلى القنطرة العالية التي استحدثها الأمير فخر الدين قره أرسلان بن داود* 510هـ/1116م على نهر دجلة بالقرب من حصن كيفا[6].

ولم يعتمد أهل الجزيرة على القناطير والآبار فحسب بل اعتمدوا على السدود والتي كانت تقام على فوهة الأنهار كالتي أقيمت عند مدينة "سكير العباس" هذه الأخيرة التي مثلت مشروعا مهما للري وزع المياه وتحكم فيها طيلة قرون[7]، فقد كان منسوب الماء في هذه الأنهار يرتفع فوق مستوى الأراضي الزراعية الواقعة على ضفافها، فتدخل تلك المياه في الجداول المعدة لهذا الغرض[8].

أما ابن شداد فيذكر لنا الأبواب التي ركبت على النهرين بمدينة سنجار، فيعرف النهر الأول بدار العين والثاني بعين الأحثات، ولها من الأبواب أربعة، ثلاثة جنوب المدينة وهي:

---

[1]-سوادي، مرجع سابق،200.
2-ابن شداد، مصدر سابق، ج1، ص156.
3-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص419.
4-نفسه، ص419.
*طاق: مفرد جمعه أطواق، طيقان، طاقات ما جعل وعطف من البناء من قنطرة أو نافذة كالقوس. أنظر: عمر أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008، مجلد3، ص337.
5-ابن عبد الحق، مصدر سابق، ص336.
*قره أرسلان بن داود فخر الدين: (543-570هـ/1148-1174م): من أمراء الدولة الأرتقية صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر. أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج11، ص464.
6-ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.
7-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص109.
8-سوادي، مرجع سابق، ص202.

باب الماء، باب الحديد، الباب العتيق، وأما الباب الرابع ففي الشمال ويسمى باب الجبل[1] وقد تمثل دور هذه الأبواب في تنظيم دخول المياه وصرفها خارج المدينة لإرواء الأراضي والمزارع والبساتين المجاورة[2]، وهذا لا يعني أنهم أهملوا القنوات، بل يذكر ياقوت الحموي في معرض حديثه عن مدينة أربل*: "كانت أكثر زروعها تقوم على القنى المستنبط تحت الأرض"[3].

أما أهل الرحبة، فقد كانوا سيتقون من قناة تتصل بنهر سعيد الخارج من الفرات، وكذلك الحال بالنسبة لأهل سنجار، فأغلب مياههم من القنى[4].

عكس مدينة نصيبين ومدينة دنيسر اللتان كانا يعتمدان في شربهم على الصهاريج[5].

وقد بنيت القناطر والسدود من الجص أو الآجر على كثير من أفواه القنوات المائية لتنظيم توزيع الماء ورفع مستوى الماء في هذه القنوات الفرعية حتى يسهل الري سيحا (غمرا)*[6].

4- نظام الإقطاع:

لم يكن الإقطاع* في الجزيرة الفراتية وليد القرن السادس أو السابع للهجري بل نشأ الإقطاع فيها قبل ذلك بكثير، فقد أشار البلاذري إليه حين ذكر الأرض البوار التي أحياها المسلمون فأقطعوها[7]، وقد عمم بعدها السلاجقة النظام الإقطاعي الذي أخذوه عن البويهيين، فقد كان أساس الملكية التي قامت في عهد السلاجقة[8]، واتخذت منه ركنا أساسيا من أركان سياستها المالية فقد

أمر الوزير نظام الملك* بتوزيع الأراضي على شكل إقطاعات لجنده ليضمن عمارتها وعناية مقطعها بأمرها[9].

1-ابن شداد، مصدر سابق، ص145.
2-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص357.
*أربل: مدينة على ضفاف الفرات. أنظر ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص59.
3-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص176.
4-أبو الفداء، مصدر سابق، ص271، ص273.
5-ابن عبد الحق، مصدر سابق، ج3، ص29.
*الري سيحا: أي تسقى الأرض بماء جار على وجه الأرض يسقيها المزارع دون جهد. أنظر: محمد مصطفى حلاوي، النظم الإسلامية في عصر صدر الإسلام، شركة دار الأرقم بن ابي الأرقم، لبنان، 2016م، ص202.
6-الحارثي، مرجع سابق، ص194.
* الإقطاع: هو أن يقطع السلطان رجلا أرضا فتصير له رتبتها، وتسمى تلك الأرض قطائع وواحدتها قطيعة. أنظر: المطرزي، أبي الفتح ناصر بن عبد السيد، المغرب في ترتيب المعرب، بيروت، 616هـ، ص387.
7- البلاذري، فتوح البلدان، ج2، ص20.
8- سوادي، مرجع سابق، ص237.
*نظام الملك: الوزير الكبير، قوام الدين، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، عاقل سائس محتشم متدين، عامر المجالس بالقراء والفقهاء، ولد سنة 408هـ/1017م في إحدى قرى طوس. للمزيد أنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، مصدر سابق، ص130. الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص94.
9- إبراهيم علي طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص30.

وقد إمتاز الإقطاع السلجوقي بأن أصبح نظاما إقطاعيا وراثيا، وأصبح المقطع السلجوقي سيدا إقطاعيا في مقاطعته، وكان هذا الإقطاع ينتقل إلى ورثته من بعده[1]، وكنتيجة للنظام الإقطاعي صارت معظم أراضي الجزيرة مملكة إقطاعية[2].

وقد كان من نتائج الإقطاع السلجوقي تدهور الأرض الزراعية وتحول مساحات كبيرة من الأراضي الخصبة إلى أراض قاحلة، وأدت سيطرة المقطعين إلى انخفاض مستوى الإنتاج الزراعي، ذلك أن المقطعين جعلت رواتبهم من تلك الأراضي وكان همهم الوحيد الربح المالي، فأثقلوا كاهل الفلاحين بالضرائب وأعمال السخرة[3].

وبعد أن دب الضعف في أركان السلطة السلجوقية تهيأت الفرصة لظهور دور الأتابك في إدارة الدولة سياسيا وعسكريا، خاصة أن نظام الإقطاع عمل على نشوب الصراع بين الأمراء السلاجقة[4].

فنجد أن الموصل قد أقطعت إلى الأمير أقسنقر البرسقي* والذي بقي مقطعا لها من سنة 509ه/1116م إلى أن قتل سنة 520ه/1127م وخلفه إبنه عز الدين مسعود سنة 521ه/1128م، ثم أصبحت بعدها الموصل من إقطاع عماد الدين زنكي[5] ، حيث أقطع السلطان ملكشاه الأمير عماد الدين بن أقسنقر، الموصل سنة 515ه/1121م حسب ابن الاثير[6]، وليس سنة 521ه/1128م حسب أبو شامة، وأصبحت الموصل ولاية إقطاعية يديرها أمير عسكري[7].

وأقطعت ديار بكر إلى الأمير إيلغازي بن أرتق* سنة 515ه/1121م، وأسس فيها إمارة وراثية عرفت بالإمارة الأرتقية، تعاقب على حكمها أولاده حتى استولى عليها صلاح الدين الأيوبي سنة 579ه/1184م[8].

1-الخالدي فاضل، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس للهجري، بغداد، 1969م، ص276.
2-طرخان، مرجع سابق، ص14.
3-عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م، ط1، ص80.
4-طرخان، مرجع سابق، ص19.
*أقسنقر البرسقي: سيف الدين قسيم الدولة أبو سعيد البرسقي، صاحب الموصل للمزيد أنظر: ابن خلكان، كتاب وفيات الأعيان، ج2، ص327.
5-أبو شامة المقدسي، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن إسماعيل إبراهيم المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة، 1378هـ، ص30.
6-ابن الأثير، التاريخ الباهر، مصدر سابق، ص64.
7-الجميلي رشيد عبد الله، دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين، بيروت، 1975م، ص47.
* إيلغازي: نجم الدين ابن الأمير أرتق بن اكسب التركماني، صاحب ماردين، استولى على ماردين كان ذو شجاعة ورأي حارب الفرنج واستولى على حلب وميافارقين وغيرها. للمزيد أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج19، ص436.
8-ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج8، ص262. أبو شامة، مصدر سابق، ج2، ص39.

كما قامت بالموصل ما عرف بأتابكية الموصل وانقسمت الى:

أ- **أتابكية جزيرة ابن عمر:** (576هـ648--هـ/1180م-1270م):

مؤسسها معز الدين سنجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي اقطعه والده هذه الجزيرة وعمره اثنا عشر سنة[1]، وفي سنة 605هـ/1208م قتل معز الدين وخلفه ابنه غازي الذي حكم يوما وليلة، ثم نصب مكانه ابنه محمود[2].

ب-**أتابكية سنجار:**(566هـ-617هـ/1170م-1220م):

أسسها عماد الدين زنكي الثاني بن مودود وأنشأ فيها أتابكية مستقلة عن الموصل[3].

ج- **أتابكية أربل:**(539هـ-630هـ/1144م-1232م):

مؤسسها زين الدين علي بن بكتكين أحد الأمراء الأتراك بجيش عماد الدين بن زنكي وأقطعه أربل وشهرزور[4].

وقد اتخذ الأتابك عماد الدين من الإقطاع وسيلة لحماية دولته وضمان ولاء الأمراء والجنود له، فالأرض المقطعة تحفز صاحبها للدفاع عنها وخدمتها[5].

كما عمد عماد الدين إلى نهي جنده عن اقتناء الأملاك وقال: "مهما البلاد لنا فأي حاجة بكم إلى الأملاك، فإن الإقطاعات تغني عنها[6]" ، وإذا توفي المقطع تسترجع منه الإقطاعية وتمنح شخصا أخر، أما الأتابك نور الدين فقد جعل الإقطاع وراثيا يتوارثه أبناء المقطع[7].

وقد كان المقطعين لا يباشرون إدارة الإقطاعية بأنفسهم وإنما كانت عملية الاستغلال من حراثة للأرض وزراعتها وما يتبعها من أمور أخرى هي من اختصاص الفلاحين اللذين يتولون عملية الزراعة[8].

كما كان الإقطاع المدني*والإقطاع العسكري*يسودان دولة الأتابكة، حيث نستطيع القول أنه في هذه الدول كان يمنح الموظفون إقطاعات مدنية بدلا من الرواتب[9].

1-ابن الأثير، الباهر، مصدر سابق، ص154، ص171.
2-أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل، تراجم رحال القرنين 6و7هـ، القاهرة، 1947م، ص67.
3-ابن الأثير، الباهر، مصدر سابق، ص153. أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، مصدر سابق، ص39.
4-نفسه، ص93، ص135.
5-نفسه، ص169.
6-ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1953م، ج1، ص101.
7-ابن الأثير، الباهر، مصدر سابق، ص139.
8-الديلمي محمد حسن سهيل، الاقطاع في الدولة العباسية (447-656هـ)، مكتبة المهتدين، العراق ،2010، ط1، ص179.
*الاقطاع المدني: كان من أوسع الاقطاعات التي كان يلجأ اليها الامراء الاتابكة والاراتقة ويعرف كذلك بإقطاع المدن، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج12، ص398.
*الاقطاع العسكري: هو اقطاع الأرض مقابل الخدمة العسكرية بدل دفع رواتب لهم، الديلمي، مرجع سابق، ص74.
9-ابن الاثير، الباهر، مصدر سابق، ص135، ص175.

وبعد مجيء صلاح الدين اتبع هذا الأخير نهج الزنكيين في أسس منح الإقطاع، فقد قسم الدولة الأيوبية على أبنائه وأمرائه[1]، كما أجاز الإقطاع الأيوبي انتقال الإقطاع من مقطع إلى آخر في حالة وفاة المقطع[2]، إضافة إلى أن من أسباب انتقال الإقطاع من المقطع إلى غيره نجد مجيء سلطان جديد أو سوء العلاقة بين السلطان والمقطع أو إهمال هذا الأخير وتقصيره في دفع مال المقاطعة المقرر عليه[3].

كما تجدر بنا الإشارة إلى أن صلاح الدين قد استهدف من نظامه الإقطاعي تنظيم العلاقة بين المقطعين والفلاحين من أجل إقامة العدل، فقد حددت الضرائب والرسوم التي يدفعها الفلاح للأمير المقطع[4].

والواضح أن الإقطاع الإسلامي لم يكن الوحيد المعروف آنذاك في إقليم الجزيرة الفراتية، بل وجد إلى جانبه الإقطاع الغربي الذي انتقل مع الصليبيين من أوروبا[5].

وقد قامت الكيانات الصليبية على أسس إقطاعية، فاللذين قادوا الحروب الصليبية هم بالأساس سادة إقطاعيون في أوروبا، لذلك يمكن القول أنّ النظام الإقطاعي الذي طبقوه هو انعكاس للإقطاعية الغربية[6].

وخلاصة القول أنّ أنواع الإقطاع في أرض الجزيرة الفراتية خلال القرن 6هـ-7هـ تمثلت في: الإقطاع العسكري والإقطاع الوراثي، والإقطاع السياسي*وإقطاع المدن[7].

ولعله من البديهي الإشارة إلى أن الإقطاع قد كان أحد أنواع أو وسيلة من وسائل الجباية في الجزيرة وقد تمثلت الأنواع الأخرى في جباية الخراج بواسطة عامل الخراج والجباية بطريق الضمان*[8].

1-ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج2، ص409.
2-القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص50.
3-ابن واصل، مفرج الكروب، مصدر سابق، ج2، ص118.
4-الديلمي، مرجع سابق، ص193.
5-سوادي، مرجع سابق، ص22.
6-الديلمي، مرجع سابق، ص222.
*الاقطاع السياسي: وهو شبيه الاقطاع الإداري، وهو ولاية على منطقة ما وللمقطع او الأمير السلطة التامة على اقطاعه، وله ان يعطي اقطاعات بدوره وقد عرف في الجزيرة أيام الأتابكة. للمزيد انظر: الدوري، مرجع سابق، ص97.
*الجباية بطريق الضمان: شاع هذا النظام في دول أتابكة الموصل والجزيرة، فكان على الضامن من للمدينة او الولاية ان يقدم للحكومة مبلغا معينا من المال سبق الاتفاق عليه فان عجز عن تسديده فرضت عليه عقوبات، فقد عزل عماد الدين زنكي ابن أقسنقر سنة 531هـ بسبب مال انكسر عليه من جملة ضمانه وعجز عن تسديده. للمزيد انظر: عصام الدين عبد الرؤوف، مرجع سابق، ص235.
7-سوادي، مرجع سابق، ص240، ص241، ص244، ص245.
8- عصام الدين عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، الكويت، ص234، ص235.

المبحث الثاني: النشاط الفلاحي في إقليم الجزيرة وأهم المحاصيل

يمثل النشاط الزراعي العصب الأساسي والمهم لحياة الإنسان الإقتصادية بشكل عام وبالحديث عن اقليم الجزيرة الفراتية فقد إكتسب مجال الزراعة أهمية كبيرة نتيجة استغلال الأراضي الخصبة.

يعود الأثر الكبير على الزراعة المناخ اذ يسود إقليم الجزيرة الفراتية مناخ إقليم البحر الأبيض المتوسط حيث الشتاء البارد الماطر والصيف الحار الجاف[1]، ويذكر المقدسي مناخ هذا الإقليم فيقول:" أما هواء هذا الإقليم فمقاربة للشام" ثم يقول: "وبه مواضع حارة"[2].

ورغم أنه لا توجد حقائق واضحة يمكن الاطمئنان إليها عن مساحة الأراضي المزروعة في إقليم الجزيرة إلا أن المعرفة بنظام الري القائم آنذاك وطبيعة البلاد وإفادة الجغرافيين تدل على أنها كانت لاتزال كبيرة وواسعة، وقد كانت الزراعة تقوم بصورة رئيسية على نهري الدجلة والفرات والأنهار التي تصب فيهما وتتفرع منها، بينما كانت منطقة الجزيرة تعيش على الأمطار التي تتفاوت مقاديرها بين سنة وأخرى فتتفاوت المساحات الزراعية تبعا لها[3].

وقد عمل أتابكة الموصل منذ أيام عماد الدين زنكي على إبقاء الأراضي بأيدي أصحابها بدلا من توزيعها على قواد الجيش والأمراء على هيئة اقطاعات وعندئذ بدأت الزراعة تزدهر وتتقدم، فقد ركز الأتابكة على الإهتمام بالزراعة وهيئوا السبل للنهوض بها، فشقوا الترع والقنوات. مما أدى إلى زيادة الثروة الزراعية وتحولت الأراضي الجدباء إلى أراضي خصبة، ينبت بها جميع أنواع الحبوب والبقول والخضروات[4].

أصبحت الموصل بلدا زراعيا نتيجة اهتمام الأتابكة بها فاختلفت فيها المنتوجات الزراعية بأنواعها، وانتشرت بها بساتين الفواكه بعد أن كانت شبه معدودة، يقول ابن الأثير: " فلما عمرت البلاد عملت البساتين بظاهرها وفي ولايتها، فهي اليوم، أكثر البلاد فاكهة، فالرمان يبقى إلى أن يدرك العتيق الجديد، وكذلك الكمثرى، وقريب منه العنب، وأما التفاح فيجمع بين العتيق والجديد"[5].

وساد الأمان في ظل حكم الأتابكة وعمرت القرى التي كانت مهجورة وازداد عدد سكانها وأقبل الناس على الموصل[6]، حيث بلغ عدد قراها 6000 قرية[7]، وقد اشتغل أهلها

1-عبد الرحمن حميدة، جغرافية الوطن العربي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص328.
2-المقدسي، مصدر سابق، ص141.
3-جعفر خصباك، مرجع سابق، ص95.
4-سليمان صائغ الموصلي، تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، مصر، 1923م، ج1، ص34.
5-ابن الأثير، الباهر، مصدر سابق، ص78.
6-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ص111.
7- العمري، مصدر سابق، ص67.

بالزراعة، ويقول أبو المحاسن: "إن طعام بغداد وأقوات ساكنيها من الموصل وأعمالها وديار، مضر وربيعة[1]"، كما كانت الموصل تمير بغداد أربعة أشهر كل سنة[2]، وقد بلغ عدد البساتين داخل الموصل ستة وثلاثون، وبساتين الخضرة خمسة وتسعون[3].

1- الطرق المتبعة في الزراعة:

إختلفت الطرق المتبعة في الزراعة وتعددت وهذا راجع لنوعية الغلة المراد غرسها، حبوبا كانت أم نخيلا أو فواكه.

بالنسبة للحبوب، كالحنطة والشعير فكان المتبع الحرث أولا ثم نشر البذور بعد الحرث وتغطيتها حسب الأماكن، أما بالنسبة للنخيل والفواكه فقد اتبعت طريقة البذر أحيانا أو طريقة الغرس بواسطة الشتلات*، كما استعملت طريقة الترقيد، وطريقة التطعيم في تكاثر الأشجار وزيادتها وبصورة عامة كانت طريقة المناوبة في الزراعة هي السائدة فكان يزرع نصف الأرض ويترك النصف الثاني دون زرع[4].

وكانت الأرض تحرث بالمحراث الخشبي البسيط باستخدام الثيران أو البقر لذلك كان يمنع ذبح البقر بهدف زيادتها، واستعمالها في الحرث[5].

استعمل الفلاحون بعض الوسائل لمكافحة الحشرات خاصة الجراد، كما حدث سنة 619هـ /1223م عندما ظهر جراد كثير دفعه الفلاحون بالأبواق والطبول[6].

أما إبعاد الطيور خاصة العصافير، كان الفلاح يعلق بعض الطيور المخيفة كالغراب وغيرها، كما كان الفلاحون يستخدمون الأطفال لإفزاع الطيور وإبعادها عن الزرع[7].

أما بالنسبة لسقي المزروعات فقد استخدموا دواليب الماء (النواعير) والآلات المشابهة في كل مكان لرفع الماء من الأنهار والأقنية، وهناك نوعان رئيسيان من دواليب الماء: النوع المسمى الساقية وهو دولاب يديره نوع من الحيوانات ،والنوع المسمى (الناعورة) وهو دولاب ماء كبير عليه سلسلة من الأواني يديره الماء الجاري[8].

1-ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية،1956م، ج1، ص45.
2-المصدر نفسه، ص45.
3-العمري، مصدر سابق، ص67.
*الشتلات: تعني النباتات الصغيرة التي تنقل من منبتها إلى مغرسها. الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان، 2007، ج5، ص260.
4-عواد مجيد الأعظمي وآخرون، حضارة العراق، بغداد، 1975م، ج5، ص260.
5 -نفسه، ص260.
6-نفسه، ص261.
7-نفسه، ص261.
8-ا، اشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ت: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، 1985م، ص59.

2- أهم المحاصيل الزراعية

تحتل الحبوب المرتبة الأولى في المحاصيل الزراعية في هذا الإقليم وهذا راجع إلى توفر الظروف الطبيعية المناسبة لزراعتها حتى إنتشرت في معظم قرى ومدن إقليم الجزيرة وقد وصفت مدينة الموصل بأن لها نواحي عريضة و رساتيق* عظيمة[1] ،وهي كثيرة المواشي والسائمة من الأغنام والكراع وكان إرتفاعها من الحاصل دون قسمة المزارعين وصل إلى ستة آلاف كر حنطة وشعير وقيمتها تبلغ ثلاثة آلاف الف درهم أما الحبوب والقطاني ثلاثمائة كر تبلغ قيمتها عشر الاف دينار[2] ،وقد بلغت واردات ضواحي الموصل القريبة وهي الممتدة بين قرية باعيناثا إلى سريا بفرسخ طولا وعرضا وبازيدي وياهدرى وبرقعيد 16.000كر من الحنطة والشعير وبلغت قيمتها حوالي 2017.000درهم[3].

قد إمتازت نصيبين ببساتينها ومزارعها وحقولها الممتدة4، في أرض منبسطة حيث الضياع والمباخس الغزيرة السائمة والكراع وكان إنتاجها من الغلات المتنوعة وفيرا5، خاصة الحبوب والقمح والشعير[6].

يعتمد إقليم الجزيرة في المرتبة الثانية على البقوليات والخضراوات في غذائهم، وإنتشرت في نواحي عدة من الإقليم، فعلى مقربة من مدينة الموصل بثلاثين فرسخا مدينة ابن عم، وهي مدينة صغيرة لها أشجار وثمار ومياه ومرافق وخصب ومن أشجارها الجوز واللوز والبندق والتين والكروم[7]، ويشير ياقوت إلى ذلك بقوله إنها "بلدة فوق الموصل وبها استلق مخصبة واسعة الخيرات "[8].

إضافة إلى الماش والعدس والحمص والبطاطا والباقلاء واللوبيا والفاصوليا والجزر والسلق والشلحم وشاه بلوط* والسمسم والزيتون والخيار والقثاء والبصل والكوم والباذنجان والفجل، وقد بلغت بساتين الخضرة في مدينة الموصل وحدها خمسة وتسعين بستانا[9].

---

*رساتيق: جمع استاق وهو لفظ فارسي، معناه القرية أو محلة العسكر أو البلد التجاري (محيط المحيط. مادة استاق) ومن اساتيقها نينوى. وكانت به في سالف الزمان مدينة تجاه الموصل من الجانب الشرقي من دجلة، ورستاق المدرج وهو أيضا فسيح وواسع كثير الضياع والماشية والكراع، وكانت مدينة كثيرة الخير خصبة، ويجاور هذا الرستاق أرض حزة ورساتيقها، وهو إقليم بينه وبين أعمال المدرج الزاب الكبير وبه مدينة تعرف بالأسواق والضياع وبها خير ورخص بالإضافة إلى بازبدى وقردى وهما رستاقان عظيمان متجاوران فيهما الضياع الجليلة الخطية التي تكيل الضيعة ألف كرّ حنطة وشعير أو حبوب قطان. ابن حوقل، مصدر سابق، ص196.

1-ابن حوقل، مصدر سابق، ص196.

2-نفسه، ص197.

3-عباس الغزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، الصالحية، بغداد، 1957م، ص102.

4-الإصطخري، مصدر سابق، ص40.

5-المقدسي، مصدر سابق، ص139.

6-ابن حوقل، مصدر سابق، ص196.

7-نفسه، ص202، ص203.

8-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص79.

* شاه بلوط: هو المعروف حاليا بالكستناء وثمرته من المكسرات وقشرته سميكة وهي بنية اللون، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط27، ص103.

9-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ص448.

إهتم سكان الجزيرة بزراعة الفواكه حتى اشتهروا بكثرة أشجارها ونلمس ذلك من خلال المعطيات الموجودة عندنا ، وأولى الأشجار التي وجدت في هذا الإقليم النخيل ،حيث يقول صاحب صورة الأرض: "أما قصبة مدينة الموصل فلم يكن بها شجر ولا بساتين إلا التافه اليسير"[1]، ولكن هذا كان قبل القرن السادس الهجري ،حيث غرست الأشجار وكثرت الكروم وغزرت الفواكه وغرس النخيل والخضر، وأصبحت لهذه المنتوجات أهمية كبيرة في النشاط الاقتصادي للمنطقة ودخلها ،حيث يؤكد المقدسي كثرة المزارع والبساتين والمياه وغزارة الدخل في رساتيق الموصل مثل نينوى ومعلثايا وباعيناثا[2] ،التي إستمرت كذلك في أيام ياقوت الحموي في القرن السادس الهجري الذي أشار إلى أن ولاياتها ورساتيقها ،التي كان يبلغ خراجها 4.000.000 درهم قد تضاعفت وكثر دخلها بعد أن عمرت، ويرجع ياقوت سبب نقص المدينة من البساتين إلى عدم جريان الماء في رساتيقها[3] .

ويكثر النخيل في سنجار وهيت والأنبار[4]، وقد كانت "باصفرا" و"باعشيقا" و"باعيناثا"، مناطق البساتين الكثيرة في شرق الموصل حيث يغلب عليها شجر الزيتون والنخل والنارنج والكروم[5].

كما تكثر المياه والبساتين وأشجار الكُمثري والرمان والسفرجل والخوخ في مدينة سروج[6]، كما ينتشر في قرية القريشية القريبة من جزيرة ابن عمر التفاح المعروف "بالتفاح القريشي"[7].

ويزرع في قرية "شاقرد" الواقعة بين داقوقا واربل شجر التين الذي لا يوجد مثله في غيرها[8]، وفي الطرف الغربي من أذربيجان في قرية أشتة توجد بساتين الكُمثري الذي كان يفضل على غيره ويحمل إلى جميع البلاد المجاورة لها[9]، وفي مدينة أسعرد قرب ميافارقين تنتشر أشجار التين والرمان والكروم[10].

ولم تشهد المنطقة زراعة الحمضيات كالنارنج والأترج والليمون الحامض والبرتقال والسفرجل ...قبل القرن الرابع هجري /العاشر ميلادي، فيقول الحموي في هذا الشأن: " كذلك شجر النارنج والأترج المدور جلب من أرض الهند بعد الثلاثمائة فزرع بعمان ثم نقل إلى البصرة والعراق والشام، حتى كثر في دور الناس كما جلب الليمون الحامض"[11].

1-ابن حوقل، مصدر سابق، ص194.
2-المقدسي، مصدر سابق، ص137.
3-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص683.
4-الإصطخري، مصدر سابق، ص41.
5-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص688.
6-أبو الفداء، مصدر سابق، ص284.
7-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص79.
8-القزويني، مصدر سابق، ص237.
9-نفسه، ص284.
10-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص228.
11-نفسه، ص262.

ونتيجة لإهتمام سكان الجزيرة الفراتية بالنشاط الزراعي واستصلاح الأراضي وإقامة مشاريع الري، تنوعت المحاصيل الزراعية من الفواكه والأثمار وأنواع الحبوب والخضر والبقول حتى الأزهار والرياحين، ويختلف الإنتاج الزراعي باختلاف مناخ أقاليم الجزيرة.

ويصف ابن جبير منطقة ما بين نهري دجلة والفرات والتي تعتبر من أغنى الأقاليم وأكثرها إنتاجا لمختلف أنواع الثمار فيقول: " والقرى والعمائر من هذا الموضع إلى الموصل متصلة[1] "، ويشير بذلك إلى رحلته التي بدأت من مدينة تكريت حيث تتصل المزارع والبساتين والحقول ويقول: "وانسابت جداول في مروج خضر، فكأنها سبائك اللحين، تحف بها أشجار وبساتين قد انتظمت على حافيتها إلى أخر انتهائها "[2].

ويقول كذلك: "أنها في بسيط من الأرض فسيح وحولها بساتين الرياحين والخضر تسقى بالسواقي "[3].

كما كثرت الزروع في مدينة إربل وقد كانت تسقى ورساتيقها من مياه الأبار، حيث عملت القنوات لريها، وقد اشتهرت الجبال الموجودة حولها بأشجار الفواكه المختلفة[4]، وجاء في مراصد الإطلاع أن مدينة شقلاباذ قرية كبيرة في لحف الجبل المطل على إربل، ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة ينقل عنبها إلى إربل السنة بطولها[5].

كما يشير ياقوت إلى شهرة مدينة "حران" التي اكتسبتها بسبب نشاطها الزراعي، حيث تقع في الطريق الموصلة إلى مدينة جسر منبج الكثيرة المياه والبساتين والتي تحتوي على أنواع من الفواكه مثل الرمان الجيد والسفرجل والخوخ والكُمثري[6].

اشتهرت كذلك قرية " دامان " بالقرب من الرقة "بالتفاح الدامانى" وكان يصدر إلى المدن ومنها بغداد ويضرب بحمرته المثل[7].

وقد انتشرت أشجار التوت في مدينة جسر منبج لتربية " دودة القز " للحصول على الحرير الطبيعي[8].

كما شهد هذا الإقليم زراعة الورد الأبيض في نصيبين الذي يصنع منه ماء الورد المفضل على سائر الأنواع حيث تزرع هذه الورود في قرية الزراعة، حيث توجد بها عين كثيرة المياه[9].

1-ابن جبير، مصدر سابق، ص208.
2- نفسه، ص217.
3-نفسه، ص216.
4-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص186.
5-ابن عبد الحق، مصدر سابق، ص119.
6-ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى العنسي، بسط الأرض في الطول والعرض، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958م، ص88.
7-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص538.
8-ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص88.
9-نفسه، ص90.

إحتفظت مدن رأس عين وماردين وبرتالا وحصن كيفا وسابدا بزراعة القطن[1]، كما تشير المصادر إلى خلاط وبلاد الشام وغيرها من البلدان[2].

إضافة إلى المنتوجات الزراعية الخاصة بالطعام، كانت هناك منتوجات علاجية استخدموها كأدوية سواءا كانت على شكل دهان أو شراب، وكانت هناك نباتات أخرى تستخدم أليافها لصناعة الخيوط والحبال مثل القنب وأخرى تخص صنع الحصائر والبسط[3].

وبالحديث عن المنتوجات الزراعية في إقليم الجزيرة الفراتية في فترة الدراسة المحصورة ما بين القرنين السادس والسابع هجري يجدر بنا الاشارة الى الكوارث الطبيعية التي حدثت في هذه الفترة والتي تؤثر بطبيعة الحال على انتاج المنطقة الزراعي:

حيث يذكر السرياني أنه في سنة 532هـ/ 1142م انحبست الامطار فانعدمت مياهها فكان ذلك سببا في جفاف العيون والينابيع[4].

وفي سنة 518هـ/ 1121م إنخفضت درجة الحرارة إنخفاضا كبيرا في شتاء هذه السنة وإستمر الإنخفاض لمدة أربعين يوما فجمدت مياه نهر الفرات وغيره من الأنهار حتى أمكن الإجتياز عليها كاليابسة، وقد أثر هذا سلبا على معظم الأنشطة الحياتية في المنطقة.[5]

وفي سنة 567 هـ /1172م إنخفضت درجات الحرارة فيما بين النهرين انخفاضا شديدا وصاحب ذلك تساقط للثلوج فتلف نتيجة لذلك أشجار الكروم والزيتون وإسود القطن والسمسم وكأن نارا إجتاحته[6].

كما حصل نقص كبير في الحبوب سنة 633هـ/ 1235م في مابين النهرين وجفت الكروم والأشجار من شدة البرد الذي حدث منذ شهر نوفمبر الى إكتمال القمر شهر شباط وبسبب ذلك جمدت مياه نهر الفرات ولم يسقط المطر على الزرع الجديد[7].

وفي سنة 533هـ /1141م سقط على حصن زياد* برد رهيب حطم الأشجار والكروم وألحق أضرارا جسيمة في الزراعة[8].

1-الإصطخري، مصدر سابق، ص73.
2-ابن حوقل، مصدر سابق، ص200.
3-آدم متز، مرجع سابق، ص254.
4- السرياني، مصدر سابق، ص252.
5-نفسه، ص174.
6- نفسه، ص309.
7-ابن العبري، مصدر سابق، ص101.
*حصن زياد: بين آمد وملطية إلى ملطية أقرب. ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص264.
8-السرياني، مصدر سابق، ص223.

المبحث الثالث: الثروة الحيوانية في إقليم الجزيرة الفراتية

يعد الإنتاج الحيواني مكملا للجانب الاقتصادي ومضيفا أهمية اقتصادية للإقليم، حيث ساهمت الطبيعة الجغرافية للمنطقة والتي تميزت بوفرة مراعيها ومحاصيلها الزراعية، كالشعير والبرسيم والتبن، وبالتالي توفر الكلأ للحيوانات[1].

ولتميز المنطقة بوفرة المياه والمراعي الواسعة فقد ساهم ذلك بشكل كبير في تربية أعداد كبيرة من المواشي، خاصة الأغنام والماعز والتي تعد مصدرا أساسيا للغذاء والربح[2].

إذ أشار البلاذري إلى أنّ سكان الجزيرة هم أصحاب حروث ومواشي، إضافة إلى الخيل والشاة، وهذا كذلك راجع لوجود الجبال في أراضي الجزيرة الفراتية[3]، كما كان الإقليم غنيا ومشهورا بالمراعي الخصبة التي تربى فيها أحسن أنواع الضأن والغنم والخيل، فعرفت نصيبين الخيول، والضأن والأبقار[4]، وهنا نجد أن ابن حوقل في معرض حديثه عن الجزيرة يقول: "وبالجزيرة براري ومفاوز وسباخ بعيدة الأقطار، وكان يسكنها قبائل من ربيعة ومضر، أهل خيل وغنم وإبل قليلة"[5].

وقد إهتم سكان الجزيرة الفراتية إهتماما بالغا بالخيل باعتبارها كانت وسيلة المحارب والمدافع عن أرضه، فضلا عن كونها زينة ووجاهة للمرء، كما كان يمتلكها أشراف القوم[6].

أما ابن حوقل فيؤكد على أهمية الخيل في هذا الإقليم ويقول:" وسمعت رئيسا من علماء البغداديين يذكرها فقال: معدن الأبطال وعنصر الرجال وينبوع الخيل ..."[7]

وأصبحت الخيل تصدر حتى إلى خارج الإقليم وهذا ما أشار إليه المقدسي فيقول: "ومن الجزيرة الجوز واللوز والسمن والخيل الجياد "[8].

ومن الأصناف الأخرى التي إعتنى سكان الجزيرة وخاصة الأرياف بتربيتها نجد الإبل والماعز والأغنام والخراف والأبقار[9]، فكانت الإبل تربى في البراري وأطراف المدن، حيث كانت أساس التنقل والتسابق، بينما ربيت البغال والحمير في المدن والمناطق الزراعية، حيث

1-غزوة شهاب أحمد المصطاف، الأهمية الاقتصادية لإقليم الجزيرة الفراتية خلال العصور الإسلامية الأولى، جامعة سامراء، كلية التربية، قسم التاريخ، مجلة الجامعة العراقية، العدد 46، ج2، ص429.
2-الكعبي، مرجع سابق، ص42.
3-البلاذري، فتوح البلدان، مصدر سابق، ص182.
4-بشرى جعفر أحمد، قبيلة تغلب ودورها في تاريخ العرب قبل الإسلام وصدر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص103.
5-ابن حوقل، مصدر سابق، ص2005م.
6-الحارثي، مرجع سابق، ص202.
7-ابن حوقل، مصدر سابق، ص190.
8-المقدسي، مصدر سابق، ص145.
9-الكعبي، مرجع سابق، ص43.

إعتمد عليها الفلاحون لنقل الأتربة والأسمدة، ونقل المحاصيل الزراعية، وساعدت حتى في نقل مواد البناء[1].

وقد كانت أراضي بني تغلب ذات مراع جيدة، لا سيما أراضي الجزيرة الفراتية وذلك لوجود مصادر المياه المختلفة والأراضي الخصبة، والتي أدت صلاحيتها لتربية الحيوانات، فضلا عما تحتويه أراضيها من نمو النباتات المهمة التي ترعاها الحيوانات، والتي كان لها الأثر الفاعل في تربية أعداد كبيرة منها[2].

أما الموصل فقد تميزت بثروتها الحيوانية المتميزة، فيصفها ابن حوقل بقوله:" وللموصل نواح عريضة ورساتيق عظيمة .... ومن ذلك رستاق نينوى وهو أيضا فسيح واسع كثير الضياع والماشية والكراع"[3].

ولم يقتصر سكان الجزيرة على تربية الماشية فقط، بل توفرت بالإقليم أنواع مختلفة من الطيور الداجنة، والبط والإوز، والتي كانت تربى للاستفادة من بيضها ولحمها، كذلك ربي الحمام الزاجل وكان ذلك لحمل الرسائل السريعة ذات الطابع العسكري، رغم أن الدجاج كان منتشرا على نطاق واسع[4].

وقد تميزت الموصل بالطيور حيث كان بالقرب منها جبل يعرف "بالشعران " ويصفه الهمذاني بقوله: "وبالموصل جبل يسمى شعران لكثرة أشجاره ويقال للشجر الشعراء"، فضلا على أنه ذكر أن هذا الجبل يحوي اضافة الى الأشجار العظام والتي تقطع وتحمل الى العراق أنواع عديدة من الطيور[5].

وقد أصبحت الموصل خلال القرن السادس للهجري سوقا ضخما تعرض فيه المواشي من أغنام وأبقار وجواميس[6]، وقد ربيت الأبقار صغيرة الحجم في الإقليم واعتبرت مصدرا للألبان ومنتجاتها، واللحوم والجلود، أما الثيران فقد كانت تساهم في عملية الحرث وسحب المياه من الآبار[7]، وقد ذكر ابن الأثير أن مدينة الدوزان وهي شرق دجلة في موقع وسط بين جبال أرمينية في الشمال الشرقي وخلاط وأذربيجان وميافارقين والموصل كانت سوقا لبيع الغنم بثمن بخص من طرف التركمان والأكراد والكيلكان وهم رعاة الماشية"[8].

1-الحارثي، مرجع سابق، 202،203.
2-بشرى جعفر أحمد، مرجع سابق، ص103.
3-ابن حوقل، مصدر سابق، ص197.
4-الدويكات فؤاد عبد الرحيم، الأحوال الزراعية في إقليم الجزيرة الفراتية في العصر الأموي، (41-660هـ/132هـ-749م)، المجلة الأردنية للتاريخ والأثار، 2013م، م7، عدد1، ص16. الحارثي، مرجع سابق، ص202.
5-ابن الفقيه، كتاب البلدان، مصدر سابق، ص132.
6-سوادي، مرجع سابق، ص223.
7-الحارثي، مرجع سابق، ص202.
8-ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج12، ص473.

وتجدر الإشارة إلى أن المنطقة الواقعة مابين نهري دجلة والفرات بأنها كثيرة المواشي والأغنام والكراع والأبقار[1]، بينما تميزت ميافارقين وأرزن بقلة الماشية[2].

هذا وقد أشار ياقوت الحموي الى كثرة تربية الدجاج والبط في كسكر وهي كورة واسعة ينسب اليها الفراريج الكسكرية، لأنها تكثر بها جدا، فيقول:" رأيت أنها تباع فيها أربعة وعشرون فروجا كبارا بدرهم واحد"[3] أما اراضي الرقة فقد كانت مناطق رعوية وبالتالي استغلت لتربية الماشية، فضلا عن ذلك فقد كان نصارى العرب في الجزيرة الفراتية يعنون بتربية الإبل والخنازير[4].

وعرفت مدينة بطليس التي تقع على مقربة من خلاط بإنتاج العسل وتربية النحل، حتى أن هناك من كان يجني في السنة الواحدة من العسل ثلاثمائة أو أربعمائة جرة، كما اتصفت مدينة هروز قرب العمادية بوجود عسل كثير[5]، وهذا راجع إلى كون إقليم الجزيرة كثير الأشجار والبساتين والزهور والمياه، فانتشرت تربية النحل وجني العسل الذي كان يدر على أصحابه مالا وفيرا، وأشهر مناطق انتاجه حران وجزيرة ابن عمر والموصل التي اشتهرت أكثر من غيرها بإنتاجه[6].

وقد تمتعت الجزيرة بثروة مائية مهمة مثل الثروة السمكية نتيجة لوفرة المياه في أراضيهم، فقد وجدت الأسماك في أنهار دجلة والفرات والخابور وفروعهما العديدة في هذا الإقليم بأعداد كبيرة وبأحجام مختلفة[7]، فنجد من أشهر تلك المدن التي تزخر بالأسماك دير الدجاج الذي إنفرد بذكره ابن خرداذبه[8]، أما ياقوت الحموي فقد أشار الى بحيرة أرحبيش والتي تقع على مقربة من خلاط كان يجلب منها سمك "الطريخ" إلى سائر البلاد[9].

هذا وإنفرد الهمذاني بذكر أهمية الثروة السمكية في الموصل فقال "...كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا وهي الموصل لقدرها عندهم ...وعن ريف الجزيرة وما يليها لأنها تعدل في الخصب باعربايا وفي التمر البصرة وفي السمك عمان"[10].

ورغم توفر هذه الثروة الحيوانية في أرض الجزيرة الفراتية الا أننا لا نغفل أن الجزيرة قد تعرضت الى آفات زراعية منها ما أدى الى القضاء على عدد كبير من المواشي فنجد أنه في سنة 514هـ/1120م ضرب مدينة ماردين برد عظيم أدى الى هلاك النبات والشجر وعدد كبير من المواشي[11].

1-ابن حوقل، مصدر سابق، ص197.
2-نفسه، ص203.
3-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص460.
4- ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص275.سوادي عبد محمد، مرجع سابق، ص227.
5-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص970.
6-الحارثي، مرجع سابق، ص205، ص206.
7-بشرى جعفر أحمد، مرجع سابق، ص104.
8-ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص177.
9-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص457.
10-ابن الفقيه، اخبار البلدان، مصدر سابق، ص135.
11-ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج12، ص471.

وحدث في سنة 621هـ/1224م مجاعة بالموصل كان سببها قلة الأمطار وإستمرت هذه المجاعة حتى سنة 624هـ/ 1226م، وهو ما أدى الى إرتفاع الأسعار إذ ذكر ابن الأثير أن الشعير بلغ كل ثلاثة مكاكيك* بالموصلي دينارا وقيراطين[1]، ويبدو أن هذا الأمر قد أثر على الحيوانات فلم تجد ما تأكله، أما في سنة 647هـ/1249م فقد ورد في أحد المصادر أنه جاء سيل عظيم على السلامية إحدى قرى الموصل، فأهلك خلقا كثير وأتلف الزرع وهدمت الأسواق وغرقت الحيوانات جميعا[2].

وقد سببت هذه الأحداث وغيرها ظاهرة بطالة الكثير من أصحاب الحرف خاصة تلك التي تعتمد على المنتوجات الحيوانية، وقد أشار ابن الأثير لذلك في معرض حديثه عن كساد تجارة الغنم سنة 624هـ/1226م[3] فيقول: "حكى لي من يتولى بيع الغنم بالموصل أنهم باعوا خروفا واحدا لا غير، وفي بعضها خمسة رؤوس وفي بعضها ستة أو أقل وأكثر، وهذا ما لم يسمع بمثله ولا رأينا في جميع أعمارنا ولا حكي لنا مثله"[4] .

ت	الحيوانات	طبيعتها	مكانها
1-	الخيول	مستأنسة	نصيبين
2-	الضأن	مستأنسة	نصيبين
	المعز	مستأنسة	الجزيرة الفراتية
3-	الإبل	مستأنسة	الجزيرة الفراتية
4-	الأبقار	مستأنسة	نصيبين
5-	الخنازير	مستأنسة	الجزيرة الفراتية

(ملحق 6)[5]

*مكاكيك: ج م مكوك، أحد أنواع المكاييل التي تكال بها الحنطة والبقول لأنها لا توزن ويساوي 18.8. انظر: مها سعيد حميد، الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي، مجلة دراسات موصلية، 2011، العدد 33، ص91.

1-ابن الأثير، مصدر سابق، ص457.

2-الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، المختار من تاريخ ابن الجزري، المسمى حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تح: خضير عباس، محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م، ص218.

3- قدواي علاء محمود، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان،2014، ص43.

4-ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج9، ص35.

5-بشرى جعفر أحمد، مرجع سابق، ص104.

المبحث الرابع: ضريبة الأرض في إقليم الجزيرة الفراتية

نتيجة توفر مختلف المحاصيل الزراعية في اقليم الجزيرة الفراتية كما سبق وذكرنا وكونها تخضع لسلطة إسلامية فهذا يفرض عليها قوانين خاصة فبالنسبة للأراضي الزراعية نجد ما يعرف بضريبة الأرض أو الخراج .

تعريف الخراج: لغة واصطلاحا

تعددت أصول كلمة خراج أو ضريبة الأرض واستعمالاتها وقد وردت في القران الكريم في موضعين الأول قوله تعالى: "أم تسألهم خرجا فخراج ربّك خيرا"[1] والثاني في قوله تعالى:" فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدّا"[2].

ويرى بعض المفسرين أن الخراج والخرج شيء واحد بمعنى الأجر أو الرزق، فقد أوضح القرطبي في تفسيره كلمة خرجا بأنها تعني أجرا[3].

وقد أوضح الماوردي هذا الإختلاف بين الخراج والخرج فبين أن للقسم الأول من الآية: "أم تسألهم خرجا" وجهين: أحدهما الأجر والثاني النفع، والقسم الثاني: "فخراج ربك خير" يحتمل قولين أيضا: أحدهما الأجر المادي والثاني الأجر في الآخرة[4]، ووردت لفظة خراج في الأحاديث النبوية الشريفة فعن عائشة رضي الله عنها قالت:" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخراج بالضمان"، والمقصود بالخراج هنا إذا كان له دخل وغلة فمعنى قوله الخراج بالضمان هو تمليك الخراج بضمان الأصل فإذا ابتاع الرجل أرضا فأشغلها أو ماشية فنتجها أو دابة فركبها أو عبدا فاستخدمه، ثم وجد به عيبا فله أن يرد رقبة الملك ولا شيء عليه فيما إنتفع به[5].

وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضيف إلى المعاني المذكورة معنى جديد وهو "ضريبة الأرض" فقد قال في حديثه عن وقف الأرض على المسلمين: "وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئا على المسلمين"[6].

1-سورة المؤمنون، آية72.
2-سورة الكهف، آية94.
3-القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان، مؤسسة الرسالة، 2006م، ج12، ص141، ص142.
4-الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م، ص186.
5-ابن ماجة، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، مطبعة دار احياء الكتب العربية، ج2، ص753.
6-ابي يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979م، ص25.

ولفهم طبيعة هذه الضريبة في القرنين السادس والسابع هجري يجدر بنا العودة الى نشأتها في هذا الإقليم منذ الفتوحات الإسلامية فقد طبق الخراج في هذا الإقليم على نوعين:

خراج مساحة حيث سارت جباية الخراج في كل من الموصل والجزيرة على غرار ما كان يطبق في منطقة السواد أي تدفع الضريبة طبقا للمساحة المزروعة أو الأرض القابلة للزراعة ونوع المحصول وتكون الضريبة ثابتة حتى لا يكون هناك مجال للتلاعب فيها مادامت مساحة الأرض مضبوطة ونجاح هذه الطريقة يتطلب بقاء الزراعة والأسعار ثابتة[1].

بعدها بدأ العمل في العراق والولايات التابعة للخلافة ومنها الموصل والجزيرة بنظام جديد يعرف بـ **خراج المقاسمة** والذي يتطلب ضبطا لمقدار المنتوج وضمان عدم تسربه بين الفلاحين والعمال[2].

وتعتبر أرض الجزيرة الفراتية أرضا خراجية لا تختلف عن أرض السواد من حيث أن كليهما فتحا عنوة ورضي أهلها بفرض الخراج فكان ذلك كالعهد لهم فهم يدفعون الخراج عنها وعن القطائع فيها، وينطبق عليها قول الامام ابي يوسف: "أن ما فتح عنوة فهو أرض خراج"[3].

وفي عهد الدولة العباسية تعمد الحكام زيادة هذه الضرائب بنسب عالية الى الربع في الموارد العامة للأرض وأحيانا الثلث أو النصف مما جعل أهل الموصل ونواحيها يكسرون الخراج ولا يعطونه[4].

كما حصل نفس الأمر في عهد آل سلجوق الذين رفعوا في أول حكمهم الضرائب التي لم يطل أمدها، حيث كانت مع الدولة العباسية مزدوجة الإدارة فلم تتمكن من تسديد ميزانيتها ففي سنة 531هـ/1132م زاد الإلحاح في الأخذ ولما طلب أبو البركات أبي سلمة وزير السلطان مسعود من الخليفة (تثقيلات) قال: "ما بقي الا ان نخرج من الدار ونسلمها، فإني عاهدت الله ان لا آخذ من المسلمين حبة واحدة ظلما"[5].

ويوضح ابن الفقيه ضرائب الخراج لمدن الجزيرة كالتالي:

بالنسبة لمدينة حران 47،000 درهم، الرها 1،300،000درهم، سميساط 1،000،000درهم، سروج 600،000 درهم، رأس كيفا 350،000 درهم، الرقة 150،000 درهم والمازحين والمدبر 185،000 درهم، وهي قيم كبيرة كانت تدعم بها الدولة[6].

1-أبي يوسف، مصدر سابق ص111.
2-نفسه، ص114،115.
3-نفسه، ص115.
4-الأزدي، أبي زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم، تاريخ الموصل، تح: علي حبيبة، القاهرة، 1967م، ص275.
5-عباس الغزاوي، مرجع سابق، ص110.
6-ابن الفقيه، مختصر تاريخ البلدان، مصدر سابق، ص120.

بالإضافة إلى أنه هناك نوع آخر من ضريبة الأرض المزروعة التي طبقت في المنطقة فماهي مطلقة من الجميع أي ليست أرضا تخضع لضريبة العشر أو الربع أو الثلث أو أرضا ممسوحة إذ يقول ابن الأثير : "حدثني والدي قال :كنت أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين مودود ،ومن جملة أعمال جزيرة عمر قرية تسمى العقيمة، مقابل الجزيرة يفصل بينهما دجلة ولا بساتين كثيرة وبعضها تمسح أرضه ويؤخذ على كل جريب من الأرض التي قد زرعت شيء معلوم وبعضها عليه خراج ولا مساحة عليه، وبعضها مطلق منهما، فالمسموح منها لا يحصل لأصحابه الا القدر القريب، وكان لنا بها عدة بساتين"[1]، وحكى لي والدي فقال:" جاءنا كتاب فخر الدين عبد المسيح الى الجزيرة وأنا أتولى حينئذ ديوانها والحكم الى فيه على ما شوهد ،يأمر بأن يجعل بساتين العقيمة كلها ممسوحة ،فشق علي ذلك لأجل أصحابها ،غير أنه عارض وبعد أيام وصل قاصد من الموصل بكتاب يأمر بإطلاق مساحة العقيمة"[2].

1-ابن الأثير، مصدر سابق، ص147.
2- نفسه، ص148.

الفصل الثاني:

النشاط الصناعي في إقليم الجزيرة الفراتية

تعد الصناعة الركن الثاني من أركان النظام الإقتصادي ويرجع إزدهارها إلى وجود المواد الأولية التي تعتمد عليها الصناعة إلى جانب توفر الأيدي العاملة، وسهولة تصريف المنتوجات في الأسواق فإن تلك الصناعات قد كثرت وتنوعت واعتمدت في ذلك على المنتجات الزراعية والثروة الحيوانية[1] وموارد أخرى، وقد إهتم معظم حكام الجزيرة الفراتية بهذا النشاط وأولوه عناية خاصة كما حاولوا إنشاء صناعات جديدة باعتبارها موردا هاما من موارد الثروة[2].

وخير مثال على تطور الصناعة في مدن هذا الإقليم مدينة الموصل التي حظيت بدعم من الحكام الأتابكة وتشجيعهم، كما أن ازدهار التجارة والزراعة في هذه الفترة كان من أهم العوامل المساعدة على ازدهار الحرف والصناعة بشكل واضح ولذلك إشتهرت هذه المدينة بمصنوعاتها المختلفة والتي تشهد على دقة صانعيها ومهارتهم الفائقة في أعمالهم مما أدى بصناعاتهم أن تغزو أسواق أوروبا وآسيا كون أهلها أهل خير وتدقيق في الصناعات[3].

المبحث الأول: مقومات الصناعة في الإقليم

يختلف توزيع موارد الثروة المعدنية في الأقاليم وليس هناك إقليم واحد يحظى بكل أنواع المعادن حتى ولو بكميات قليلة، اذ هناك علاقة مباشرة بين أنماط الحرف الزراعية والرعوية والغابية وصيد الأسماك وبين المناخ السائد، ففي كل هذه الحرف يتعامل الانسان مع نباتات أو حيوانات يتأثر توزيعها بنظام الحرارة وسقوط الأمطار، أما بالنسبة للثروة المعدنية فيختلف الأمر اختلافا جذريا ذلك لأن المناخ يؤثر فقط في ظروف التعدين وبعض الموارد المعدنية[4].

ويطلق المعدن لغويا على ما كان كل شيء فيه أصله ومركزه، والمعدن موضع إستخراج الجوهر من ذهب ونحوه، يذكر الكندي المتوفى سنة 246هـ/ 860م أن المعدن من عدن وهو الإقامة فكان المطلوب منه ما أقام فيه دهورا أو أن مستنبطيه يقيمون على استخراجه فلا يسأمون من حفر الغيران إليه[5].

ونعود بالحديث الى إقليم الجزيرة الفراتية فنجد معادن مختلفة وجدت حسب مناخ المنطقة كما سبق وذكرنا، ويظهر توفر كل من معدن النحاس ـ القير ـ الرخام ـ الحديد والزجاج.

1-ابن جبير، مصدر سابق، ص189.
2-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص277.
3-اليوزبكي، موسوعة الموصل الحضارية، مكتبة الفكر الجديد، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط1، ص195.
4-جودة حسنين جودة وآخر، قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص515.
5-علي علي السكري، المعادن عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1978م، ج42، ص92.

➢ النحاس

يظهر إستخدام معدن النحاس في إقليم الجزيرة الفراتية الكثير والمتنوع على توفره بها فقد إشتهرت سعرت وهي مدينة قريبة من ديار بكر بكثرة استخراج النحاس والذي يستثمره أهلها بشكل جيد ويصنعون منه الأواني النحاسية الفاخرة، كما يلمح بن تغرى بردي بأن مدينة آمد عرفت فيها صناعة الأواني النحاسية[1]، ويقول عنها المستوفى أنها مدينة عظيمة مشهورة بآنياتها النحاسية التي يصنعها الصفارين هناك وبأقداح الشرب التي تجلب منها[2].

كما أبدع الصناع المواصلة في استخدام النحاس حيث زينوا الأبواب بصفائح معدنية نحاسية تثبت بشرائط دقيقة جميلة[3]، وقد وصلت لنا بعض الأواني النحاسية والتي تعود للقرن السابع الهجري نذكر منها:

- إناء من النحاس المكفت بالفضة، وقوام زخرفته رسوم آدمية ومناظر صيد وطرب محفوظ في متحف فلورنسا[4].
- صينية فضية مطعمة بالذهب والفضة محفوظة في متحف برلين[5].

➢ القير

وجد في إقليم الجزيرة الفراتية معدن القير والذي هو عبارة عن مادة كبريتية تشبه الزفت توجد في الموصل وبلد، وبعد أن تجمع المادة وتبرد تستخدم في تقيير الحمامات عوضا عن البلاط[6]، ودليل وجوده واستخدامه في هذه المنطقة وصف الشابشتي لدير القيارة حيث يقول: "تحته عين قير وهي عين تقوم بماء حار نضب في دجلة ويخرج منه القير، فمادام القير في مائه فهو لين يمتد فإذا فارق الماء برد وجف"[7].

كما جاء في كتاب الرحلة لابن بطوطة ذكر معدن القير في إقليم الجزيرة حيث يقول: "على يمين الطريق الى الموصل وهدة من الأرض سوداء فيها عيون كبار تنبع بالقار وتصنع له أحواض يجمع فيها فتراه يشبه الصلصال منبسطا على الأرض أسود تقذفه الى جوانبها فيرسب قارا، وبمقربة من هذه العيون عين أخرى منه كبيرة"[8].

1-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية، مرجع سابق، ص163.
2-لي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م، ص146.
3-سعيد ديوه جي، أعلام الصناع المواصلة، مطبعة الجمهور، الموصل، 1970م، ص111.
4-نفسه، ص118.
5-نفسه، ص120.
6-هالا عبد الحميد إبراهيم الوريكات، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في إقليم الجزيرة الفراتية، مرجع سابق، ص140.
7-الشابشتي، أبي الحسن علي بن محمد، الديارات، تح: كوركيس عواد، مكتبة المثنى، 1966م، ص196.
8-ابن بطوطة، مصدر سابق، ص209.

- **الرخام والأحجار**

توفر في إقليم الجزيرة الفراتية أنواع متعددة الألوان من الأحجار منها البيضاء والسوداء، وقد استخدمت في الأبنية المختلفة من مساجد وأديرة وكنائس[1].

ويصف ابن جبير في رحلته إستخدامات الرخام في جوامع مدينة الموصل وتزيينها قائلا: "للمدينة جامعان، أحدهما جديد والأخر من عهد بني أمية، وفي صحن هذا الجامع قبة داخلها سارية رخام قائمة، وقد خلخل جيدها بخمسة خلاخل مفتولة فتل السوار من جرم رخامها وفي أعلاها فصة رخام مثمنة"[2].

أما صاحب مراصد الاطلاع فيشير إلى مصدر الرخام في منطقة البلاليق التي تقع بين تكريت والموصل وبها فجوات في الرمل كانت تنبت الرخامى وهي أحجار صلبة مانعة لا يعمل فيها الحديد ولا تضرها النار[3]، أما في مدينة آمد فيصف ابن حوقل أسوارها السوداء قائلا: "عليها سور أسود من حجارة الأرحية" [4]،كما بنيت من هذه الحجارة السوداء العيون التي ذكرها المقدسي[5]، ويقول عنها ياقوت الحموي أنها من أعظم مدن ديار بكر وأنها بلد حصين ركين مبني بالحجارة السود[6]، ويصف ناصر خسرو مدينة ميافارقين وأسوارها التي بنيت بالجص الأبيض ثقيل الوزن الذي قدر بثلاثة أطنان[7].

- **الحديد**

تعددت استخدامات الحديد في إقليم الجزيرة الفراتية واستخدم بصفة خاصة في المنشآت العمرانية حيث استخدم في صناعة الشبابيك والأبواب وغيرها ويقول ابن بطوطة في وصف قيسارية مدينة الموصل: "بنى أيضا داخل البلد وفي سوقه قيسارية للتجار كأنها الخان العظيم تنغلق عليه أبواب حديد"[8]، كما كانت تستعمل قضبات الحديد بين الأحجار في مدينة ميافارقين، وفي شمال امد على مقربة من أحد السواعد الشرقية في أعالي دجلة مدينة حانى[9]، يقول عنها ياقوت الحموي:" فيها معدن الحديد ومنها يجلب الى سائر البلاد"[10].

- **الزجاج**

اشتهر جبل ماردين القريب من نصيبين بجوهر الزجاج (الحجر الذي يعمل منه الزجاج)، ووصفه ابن حوقل بأنه جوهر الزجاج الجيد، وقال بأنه يحمل منه الى سائر بلدان

1-لي سترنج، مصدر سابق، ص117، ص118.
2-ابن جبير، مصدر سابق، ص184.
3-ابن عبد الحق، مصدر سابق، ص169. سوادي، مرجع سابق، ص293.
4-ابن حوقل، مصدر سابق، ص220.
5-المقدسي، مصدر سابق، ص130. لي سترنج، مرجع سابق، ص120.
6-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص302.
7-سامي مرعي، صورة الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في القرن الخامس هـ/الحادي عشر ميلادي كما قدمها ناصر خسرو في رحلته، مجلة جامعة تشرين للبحوث العلمية، سلسلة الاداب والعلوم الإنسانية، 2016م، المجلد 38، ص101.
8-ابن بطوطة، مصدر سابق، ص102.
9-لي سترنج، مرجع سابق، ص142.
10-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص251.

الجزيرة الفراتية وبلاد الروم فيفضل على ما سواه بجوهرية فيه[1]، وكانت مدينة القادسية القريبة من سامراء يعمل فيها الزجاج خلال القرن السادس الهجري[2].

[1]-ابن حوقل، مصدر سابق، ص 205.
2-سوادي، مرجع سابق، ص293.

المبحث الثاني: أهم الصناعات والمناطق الصناعية

1- الصناعات النسيجية

كانت بلاد الجزيرة تنتج منسوجات مختلفة منذ زمن ليس بقريب، فقد جلب الآشوريون بذور القطن من الهند وزرعوه واتخذوا منه ثيابا متنوعة، كما زرعوا الكتان وإستفادوا من أليافه في إتخاذ المنسوجات منها[1].

وقد عُنيت صناعة الأنسجة الصوفية والقطنية في الإقليم بعناية خاصة حتى انتشرت في معظم مدن الجزيرة الفراتية، كما امتازت بالجودة والشهرة وقد عُرف عن بلاد الجزيرة أنها تصدر منسوجاتها إلى البلاد المجاورة لها وخاصة القطيفة[2].

كما أصبحت الموصل في العهد الأتابكي من أعظم مراكز إنتاج النسيج في العالم خاصة نسيج الموسلين mousseline نسبة إلى الموصل[3]، ونسيج الموصل ثلاثة أنواع:

1.1- النسيج الحريري

كان ينسج من الحرير الخالص أو من الحرير والقطن، وكانوا يتخذون له الحواشي المقصبة ويطرزونه بالكتابات المختلفة وصور الأوراق وأغصان الشجر المختلفة وذلك بخيوط الذهب والفضة، فكانت هذه المنسوجات من أهم ما ترتديه نساء الملوك والأمراء وأعيان الناس[4].

1.2- النسيج الصوفي

كان اتقانهم لهذا النوع من النسيج لا يقل عن سابقه فقد تفنن صانعوا النسيج في حياكته وتنويعه، وقد وجد في الموصل منذ زمن طويل، ولا تزال هذه الصناعة موجودة في مدينة الموصل على اليوم يشتغل بها الماهرون من الحاكة ويسمون النسيج " جاجيم "وجمعه جواجيم، وتمتاز الجواجيم الموصلية خاصة بالدقة والمتانة وتناسق الألوان[5].

1.3- النسيج القطني

كانت الموصل تنتج منه كميات كبيرة وهو أنواع منه " الشاش الموصلي " وكان يتخذ منه سراة القوم وأغنيائهم عمائم يزينون بها رؤوسهم، ومنه " النسيج الدقيق " الأبيض الذي

1-سعيد ديوه جي، أعلام الصناع المواصلة، مرجع سابق، ص35.
2-نفسه، ص35.
3-سعيد ديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مطبعة شفيق، بغداد، 1958م، ص46.
4-نفسه، ص47.
5-نفسه، ص47.

يتخذون منه الغلائل والثياب الداخلية وكان مشهورا بدقته ومتانته، ومنه النسيج الملون الذي يتخذون منه الثياب المختلفة للرجال والنساء[1].

يذكر صاحب منية الأدباء من محاسن مدينة الموصل أعداد دور الحياكة وهذا يدل على مدى إنتشارها في المنطقة فيقول: " خانات الحياكة تسعمائة وثمانون ...وجوم الحياكة خمس وسبعون ألفا "[2].

كما كانت آمد تصنع الوشي والمناديل والطيالسة وعرفت بنسيج الصوف والكتان ،فيقول المقدسي :" ومن آمد ثياب الصوف والكتان الرومية على عمل الصقلي "[3]، أما رأس العين فقد كانت في الغالب تنتج القطن وتصدره[4]، ويذكر ابن حوقل أن مدينة " عرابان " القريبة من رأس العين كانت كثيرة الأقطان وثياب القطن تحمل منها وتجهز إلى الشام وغيرها[5]، وهناك من يشير إلى وجود البز وهو قماش مصنوع من الحرير ،فيذكر ياقوت قرية السلامية بنواحي الموصل ،حيث توجد هناك قيسارية للبز ، كما توجد في باعيشاقا وهي قرية من قرى الموصل قيسارية أيضا يباع فيها البز[6].

كما اشتهرت ماردين بصناعة المنسوجات ومنها القماش القطني المعروف بالبوكاسيني، فضلا عن الثياب المنسوبة إليها والمصنوعة من الصوف المعروف بالمرعز والتي تحمل منها الأكسية إلى البلاد[7].

نظرا لإنتشار صناعة النسيج في منطقة الجزيرة والتي لا تكاد تخلو منطقة من وجودها، فقد خلدت بعض الكتب شخصيات مهمة في المنطقة امتهنت الحياكة إلى جانب اهتمامها بالعلوم العقلية كالفقه والشعر وغيرها، نذكر منهم:

- **أبو الفرج الدقاق:**

الدقاق*هو الذي يدق الثياب بعد نسجها، ليزيل عنها ما علق بها من شعر أو خيط، ويكسب الثوب نعومة ولمعانا، وهي من الحرف التي كانت تلازم الحياكة وأبو الفرج الدقاق كان يعلني (يمتهن) هذه الحرفة فنسب إليها وكان رجلا صالحا قد أوقف نفسه للنهي عن المنكر والأمر بالمعروف[8].

1- سعيد ديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مرجع سابق، ص48.
2- العمري، مصدر سابق، ص66.
3- المقدسي، مصدر سابق، ص145.
4-الإصطخري، مصدر سابق، ص74.
5-ابن حوقل، مصدر سابق، ص200
6-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص113.
7-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص162.
*الدقاق: هو غير قصار فكان القصار يأخذ الثياب بعد دقها ويتولى قصرها فتكون ناصعة البياض والقصر لا يكون إلا للثياب البيضاء أما الدق فيكون لكافة المنسوجات القطنية، وقد كان للدق خانات ومنها خان الدقاقين الذي كان يقع في محلة حمام المنقوشة من الموصل القديمة. للمزيد أنظر: سعيد ديوه جي، أعلام الصناع المواصلة، مرجع سابق، ص52.
8- سعيد ديوه جي، أعلام الصناع المواصلة، مرجع سابق، ص52.

- **ابن الشعار الموصلي:**

والشعار هو الذي يتولى نتف شعر الماعز وغزله وحياكته ويتخذ من هذا بيوت الشعر التي يسكنها الأعراب (الخيام)، وسوق الشعارين من شوارع الموصل القديمة، كان قريبا من دار الإمارة، ويبيع به الشعارون النسيج الذي تصنع منه خيام البدو[1].

والموصلي هو المبارك بن أبي بكر حمدان بن الشعار الموصلي كان يشتغل بالشعارة حرفة أبيه، ثم عكف على دراسة العلم وصار من علماء الموصل وأدباءها[2].

2- صياغة الحلي:

تقدم فن الصياغة لزيادة الترف في المجتمع إضافة إلى مواد الزينة التي تصنع للسيدات، وقد انتشرت صناعة الذهب والفضة في إقليم الجزيرة، وقد كانت تصنع بعض الأدوات من الذهب والفضة للأغنياء وكانت تزين بالكتابة بصورة فنية[3].

ويوجد صناع الذهب والفضة في أغلب مدن الجزيرة وفيها ضربت المسكوكات والنقود من الذهب والفضة والنحاس[4]، وتشير المصادر إلى أن إستعمال هذه المعادن كانت منذ زمن بعيد وقد كان الخلفاء عادة هم السباقون في الترف[5]، وقد استخدم الذهب والفضة في زخرفة بعض المنسوجات الحريرية والتحف المعدنية وتطعيم الصناديق الخشبية الفاخرة وبعض المصنوعات الجلدية ومقابض السيوف كما دخل الذهب أو ماء الذهب كما هو معروف في كتابة وزخرفة بعض الآيات القرآنية[6].

وقد اشتهر في هذه الصنعة أهل الذمة وحقق أصحابها أرباحا طائلة لذلك كتب متولي الجوالي إلى الخليفة الناصر لدين الله يطلب منه زيادة الضريبة على أهل الذمة نتيجة لربحهم في هذه الصناعة، إلا أن الخليفة لم يأخذ برأيه[7].

1- سعيد ديوه جي، أعلام الصناع المواصلة، مرجع سابق، ص52.
2-نفسه، ص53.
3-عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص448.
4-خالد يوسف صالح، الصناعة في العراق في العصر العباسي الأخير، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، الموصل، 2009، مجلد9، العدد33، ص448.
5-الدوري، مرجع سابق، ص452.
6-صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الرضي، 1417هـ، ط1، ص405.
7-خالد يوسف صالح، مرجع سابق، ص440.

3- التحف المعدنية:

يعود تاريخ وجود صناعة التحف المعدنية في إقليم الجزيرة إلى الآشوريون الذين أبدعوا في تزيين أوانيهم وأدواتهم، فورث عنهم سكان المنطقة وخاصة الموصل هذه الصناعة وأضافوا إليها ما تأثروا به من الصناعات الأخرى وأجروا عليها عمليات تنقيح وحذف وإضافة، وابتكروا عناصر زخرفية جميلة مطبقة بالذهب والفضة، حتى صارت مدينة الموصل قبلة الصناع[1].

وقد حرص الملوك والأمراء والأثرياء في المنطقة على اقتناء التحف لتزيين قصورهم وموائد طعامهم وشرابهم بها، وهكذا ظلت الموصل ممسكة بزمام هذه الصناعة[2].

وتجدر بنا الإشارة للطرق التي كانت متبعة لإنتاج التحف تلك وهي:

- ✓ **الطريقة الأولى (طريقة الترصيع):** كانوا يحفرون النحاس ويرصعونه بالفضة ثم يطلون غير المرصع منه بالقير فتظهر عليه النقوش الفضية بوضوح، وهذه الطريقة كانت منتشرة في القرن السابع الهجري[3].
- ✓ **الطريقة الثانية** (طريقة الضغط)**:** كانوا ينقشون النقوش ويصورون الصور على ظاهر الإناء ثم يضغطون على الصور والنقوش من الداخل، فتظهر على سطح الإناء بارزة[4].
- ✓ **الطريقة الثالثة:** جمع بين الطريقتين، كانوا يرصعون بعض أقسام التحفة على الطريقة الأولى ويزينون بعضها الأخر بصورة بارزة بالطريقة الثانية وصارت بعد ذلك من الطرق التي كادت أن تكون محصورة بمدينة الموصل فقط[5].
- ✓ **الطريقة الرابعة (الترصيع والتكفيت):** ويكون بالذهب والفضة فقط، وتعتبر هذه الطريقة من إبداعات الفنان الموصلي حتى فاقت مدرسة الموصل غيرها في هذه الطريقة وتفننت في إنتاج أجمل الأواني وصار إنتاجها مثلا تحتذى به بقية المدارس[6].

1- سعيد ديوه جي، تاريخ الموصل، مرجع سابق، ص407.
2-سعاد ماهر محمد، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1982، ص56.
3-سعيد ديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مرجع سابق، ص53.
4-نفسه، ص52.
5-سعيد ديوه جي، تاريخ الموصل، ص54.
6-نفسه، ص54.

(ملحق 7): علبة من النحاس المكفت بالفضة* [1]

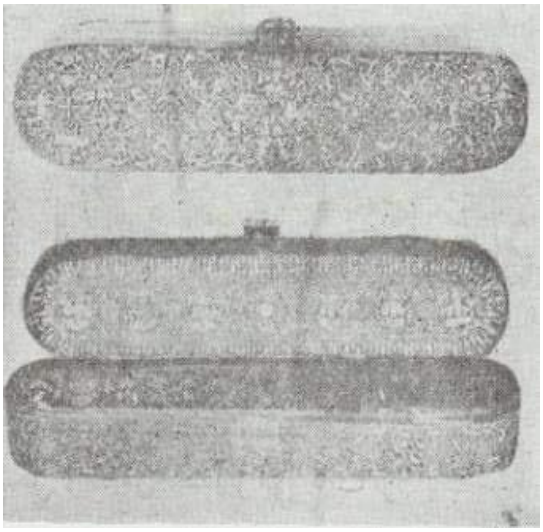

(ملحق 8): محبرة من النحاس مطعمة بالذهب والفضة صنعت بالموصل سنة 680هـ.[2]

ومن أشهر صناع التحف نذكر:

- **أبو بكر بن الحاج جلدك:**

أخذ عن أحمد بن عمر الذكي النقاش الموصلي، وتخرج على يده وأتقن صناعة النقش، ومن آثاره الباقية شمعدان من النحاس المطعم نقشه سنة 622 هـ/ 1225 م وكتب عليه إسمه وتاريخ صنعه[3].

- **أبو الفرج عيسى:**

من المطعمين الذين كانوا في القرن السادس للهجرة في الموصل ومن آثاره التي لم تزل باقية: مزولة (أداة توقيت) صغيرة صنعها للأتابك نور الدين بن عماد الدين زنكي، وكتب عليها اسمه وتاريخ صنعها سنة 554 هـ/ 1159م[4].

أما عن أشكال التحف فقد اشتملت على علب وأباريق وشماعد وطسوت وصواني وآلات فلكية ومزهريات وهي ذات أشكال مختلفة، واختلفت طرق الزخرفة من تحفة إلى أخرى فمنها من يحمل رسوما آدمية أو زخرفة كتابية لغرض تسجيل اسم الصانع، وزخارف هندسية، إضافة إلى الرسوم الحيوانية والزخارف النباتية[5].

1-هشام البسط، تاريخ النقود في نهاية العصر العباسي خلال فترة بدر الدين لؤلؤ، مركز دراسات الوحدة العربية، ص75.
*هي علبة صغيرة من النحاس المكفت بالفضة والمطروق بالزخارف والكتابات الفضية، عليها اسم بدر الدين لؤلؤ وأغلب الظن انها صنعت في الموصل في القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي. للمزيد انظر: هشام البسط، مرجع سابق، ص75.
2-سعيد ديوه جي، اعلام الصناع المواصلة، مرجع سابق، ص 90.
3-سعيد ديوه جي، أعلام الصناع المواصلة، مرجع سابق، ص82.
4-نفسه، ص83.
5-صلاح حسين العبيدي، التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1970م، ص168، ص175.

4- معاصر الزيوت:

المعصرة حجر مستدير الشكل يدور على آخر مثله فتعصر ما يلقى بينهما من الحبوب الدهنية، ويسيل الزيت إلى حوض يكون في جانب المعصرة، وكانت المعاصر في هذا الإقليم كثيرة أشهرها معاصر الموصل وبعض الأزقة يسمى " شارع المعصرة" أو شارع المعاصر، لكثرة المعاصر التي كانت فيه، وكانت الحبوب التي تعصر هناك هي السمسم وحب القطن والزيتون ويستخرجون منها الزيت الذي يستخدم للأدام كما تصنع منه الشموع[1].

5- مطاحن الحبوب:

إنتشرت الطواحين في جل إقليم الجزيرة، واستخدمت الطواحين لطحن الحبوب المنتجة مثل الشعير لتزويد المنطقة بالدقيق[2]، يقول ابن حوقل: "إن في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب يقل نظيرها في كثير من الأرض، لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجرية موثقة بالسلاسل الحديدية، في كل عربة منها أربعة أحجار ويطحن كل حجرين في اليوم والليلة خمسين وقرا، وهذه العروب من الخشب والحديد وفيها شيء من الساج"[3].

6- صناعة الزجاج:

انتشرت الصناعات الزجاجية وتقدمت، ولم تقتصر على المدن الكبيرة فقط بل وجدت حتى في بعض القرى الصغيرة، وتعددت استعمالاتها وتنوعت من حيث الأشكال والألوان[4].

وكان الزجاج يصنع من نوع خاص من الصخور الرملية، وعرف بالقوة، صنعت منه الأقداح والأواني والكؤوس والقناديل، واستعمل الزجاج المنقوش بصورة فنية للشبابيك وثبتوه بالجبس، وزينوا الأدوات الزجاجية برسم المشجرات والكتابات عليها[5].

وكانت الألوان المستعملة عادة هي الذهبي والأحمر والأخضر والأبيض والأزرق، ويبدو أن الزجاج قد استعمل كذلك في دور العبادة كالكنائس وواجهات المساجد، ويصف

1- سعيد ديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مرجع سابق، ص70.
2-سوادي، مرجع سابق، ص284.
3-ابن حوقل، مصدر سابق، ص198.
4-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص292.
5-سوسن بهجت يونس، الصناعة وأثرها في بلاد المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، بغداد، 2002، العدد 63، ص63.
*جامات: آنية للشرب والطعام، جامات أجوام وجوم، وغالبا يكون من فضة أو نحوها. عبد الغني أبو العزم، معجم الغني الزاهر، مؤسسة الغني للنشر، ص512.

القزويني حمامات مدينة سنجار بأن سقوفها مكونة من جامات* ملونة، وهي مرتبة كالنقوش فالجالس في الحمام كأنه في بيت مدبج (مزيّن)[1].

7- صناعة الخزف:

تستخدم الأدوات منذ القدم وتعتبر من الصناعات الهامة ونظرا لتوفر المواد الخام في إقليم الجزيرة فصنعت الخوابئ والحباب والزمزميات والجرار واعتنوا بتزيينها بأشكال هندسية جميلة، كما كانوا يضعون حول الإناء صور حيوانات وطيور مختلفة كالأسد والكبش والطاووس والحمام إضافة على صور حيوانات خرافية[2].

اشتهر خزف الرقة وعرف بنوع من القسوة في التعبير وحرية في الرسم والقوة المعبرة، ومن الموضوعات المحببة عند صناعها مناظر الصيد والقتال ثم الحروف الهجائية والفروع النباتية[3].

وبالنسبة لطريقة صناعة الخزف والفخار: فبعد تشكل الآنية وقبل أن تجف تماما تحفر في بدنها الرسوم والزخارف المطلوبة ثم تحرق الآنية حرقا أوليا ثم تطلى بطبقة البطانة فيرسب جزء منه في الشقوق الحادثة من الحز فتبدو وكـأنها لون داكن من دهان البطانة[4].

8- صناعة الأدوات الحربية:

تعتبر الأسلحة من الأدوات الهامة التي يحتاجها الناس للدفاع عن أملاكهم وأراضيهم، وقد وجدت هذه الصناعات في الجزيرة والدليل على ذلك إشارة ابن الطقطقي حول طلب المغول لآلات الحرب والسلاح من بدر الدين لؤلؤ أمير الموصل[5]، كما اشتهرت مدينة حران بصناعة المنجنيقات حيث كان يعقوب بن صابر الحراني المنجنيقي مقدما على أهل صنعته[6].

1-القزويني، مصدر سابق، ص393.

*جامات: آنية للشرب والطعام، جامات أجوام وجوم ،وغالبا ما يكون من فضة أو نحوها، عبد الغني أبو العزم، معجم الغني الزاهر، مؤسسة الغني للنشر، ص512.

2-سعيد ديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مرجع سابق، ص65.

3-سعاد ماهر، مرجع سابق، ص48.

4-نفسه، ص51.

5-ابن الطقطقي، محمد بن علي بن محمد ابن طباطبا العلوي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، 1960م، ص47.

6-ابن خلكان، مصدر سابق، ص35.

9-صناعة المسكّرات (الخمور):

إنتشرت صناعة الخمور في أغلب مدن الجزيرة الفراتية، وقد زاول صناعتها النصارى الذين يكونون غالبية في بعض مدنها، وقد برعوا في صناعتها في أديرتهم وكنائسهم[1]، وهذا ما أكده صاحب كتاب الديارات عن صناعة الخمور وزرع الكروم في الأراضي المحيطة بمعابدهم[2]، أشهرها دير أكمن[3]، دير الزعفران...[4]

كما عرف إقليم الجزيرة صناعات أخرى لم نتوسع في ذكرها ، كصناعة الشموع[5] والصابون الذي كان يصنع من زيت الزيتون المتواجد في أماكن عدة في المنطقة[6]، بالإضافة إلى صناعة العطور وماء الورد واستخلاص الأدهان من النباتات والبذور ويستفاد في الطب والتطيب[7]، بالإضافة إلى صناعة الأحذية الجلدية المتنوعة كالسروج والخفاف ودبغ الجلود[8]، كما يشير المقدسي في مدينتي نصيبين والحسينية إلى صناعة تشبه صناعة التعليب والتجفيف الغذائي من لحوم وخضر وفواكه وأسماك وكانت تباع على كونها مقددة[9]، وصناعة الأدوية كانت قائمة على عدد من العلماء والحكماء الذين عرفوا بأنهم اشتغلوا هذه الصنعة ونجد منهم مجد الدين أبو طاهر إبراهيم الأسعدي الحشائشي (ت 706هـ/1306م)، وشهدت المنطقة كذلك صناعة الورق لكن على نطاق ضيق، ومن المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة مدينة الرها ، التي ينسب إليها الورق الجيد من ورق المصاحف[10].

1-سوادي، مرجع سابق، ص241.
2-الشابشتي، مصدر سابق، ص117.
3-سوادي، مرجع سابق، ص294.
4-نفسه، ص294.
5-سعيد ديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مرجع سابق، ص70.
6-ابن بطوطة، مصدر سابق، مجلد3، ص149.
7-الدوري، مرجع سابق، ص130.
8-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص275.
9-المقدسي، مصدر سابق، 145.
10-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص165.

المبحث الثالث: النشاط الحرفي والفنون

1- النشاط الحرفي

من الصعب الفصل بين الصناعات في إقليم الجزيرة الفراتية في ذلك الزمن، فقد تزينت المنتجات بزخارف ورسومات فنية عدة وكان صاحب الحرفة هو من يبدع في صناعتها وإظهار الحس الفني الذي يملكه.

جاء في معجم اللغة العربية المعاصر أن الحرفة مهنة أو صنعة وهي وسيلة كسب من زراعة وصناعة وتجارة أو غيرها[1] كما يشار على الحرف بأصناف وأصحاب المهن وأهم الصنائع، وللحرفة عرف وسنة خاصة بها وهي مقبولة عند القاضي والمحتسب عند النظر في الخلافات بين أهل الحرفة[2].

وقد زكى الإسلام الحرف فقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على التدقيق والإخلاص في العمل وزيادة الإنتاج، وقال تعالى: " إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا "[3]، كما يشار في الحديث النبوي أن الله يحب العبد الذي يتفانى في عمله ويتقنه ويتعفف عن طلب الناس، فقال: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا فليتقنه"[4].

وتظهر قوة التماسك الحرفي، والشعور بالكيان لدى أهل الصنايع شيوع الانتساب إلى المهن إلى جانب الانتساب إلى المدينة أو القبيلة[5]، فنجد في هذا الإقليم تسميات عديدة مثل لقب الزجاج، والزيات، والجراح، والنجار، والحداد والبناء وغيرها من التسميات مما يدل على أن الأعمال الحرفية اليدوية لم تكن أقل شأنا من المهن الأخرى[6] ، وكان لكل صناعة وحرفة سوق خاص بها مثل سوق الشعارين وسوق الغزل وسوق البزازين وسوق الحدادين وسوق الصفارين ...وغيرهم[7]، وقد كان التنظيم الحرفي عند أصحاب الحرف او الصنف تعينه الحكومة وهو شيخ الصنف وهناك الأستاذ وهو المتقدم في الحرفة ويليهم الصناع او العمال وهم الذين اتقنوا الحرفة وبإمكانهم فتح حوانيت خاصة بهم والعمل مستقلين[8]، وقد اختص اهل الذمة ببعض الحرف والصناعات، فكان اليهود والنصارى يقومون بأعمال الصباغة والصياغة والخياطة والأساكفة والحجامة والقصارى والصيرفة[9]، ومن الحرف التي اشتهرت في المنطقة نذكر:

1-أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008م، ج1، ص501.
2-الدوري، مرجع سابق، ص107.
3-سورة الكهف، الآية 30.
4-أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، مسند أبي يعلى، دار التأصيل، 1989م، ج12، ص105.
5-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص301.
6-سعيد ديوه جي، أعلام الصناع المواصلة، مرجع سابق، ص36.
7-نفسه، ص31.
8-الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البخلاء، ت: محمد علي أبو العباس، دار الطلائع، مصر، 1937م، ص51.
9-اليوزبكي توفيق سلطان، تاريخ أهل الذمة في العراق 12-227ه، دار العلوم للطباعة والنشر، 1938م، ط1، ص438.

➢ الحدادة

وجدت الحدادة في المنطقة وانتشرت في معظم المدن وبرع الصناع بصنع أنواع عديدة من الحديد بعد صهره، أهمها الأبواب والشبابيك[1]، ويذكر المقدسي توفر معدن الحديد في مدينة الموصل الذي تصنع منه الأسطال والسكاكين والسلاسل الحديدية[2]، وقد استخدم النحاس والصفر والبرنز والحديد والفولاذ لصنع أنواع من الأدوات[3]، ويصف ابن جبير صناعة السلاسل عند عبوره نهر الفرات، كما يذكر في أخبار سنة 628هـ/1230م واصفا حائط دار الوزارة بأن عليه شباك حديد[4].

➢ النجارة

كانت النجارة حرفة مهمة، وكان النجارون يصنعون الكراسي والاثاث المنزلي من أسرة ودواليب[5]، والمناضد والأبواب والسقوف الخشبية ويزينونها أحيانا بنقوش جميلة، خاصة إذا كانت من خشب الساج، وكانت قطع الخشب تسمر بالمسامير أو تدخل نهاياتها ببعض بصورة فنية، ثم تصقل حتى يظهر الكل قطعة واحدة، وصنعت بعض الآلات الموسيقية من الخشب كالعود وصنعوا أدوات للقتال كالأقواس والسهام والرماح، بالإضافة إلى صناعة القوارب والزوارق[6].

➢ البناء

يعتبر البناء من المهن الحرفية المهمة والتي عرفت نشاطا كبيرا في إقليم الجزيرة، وقد ساعدت المهن سابقة الذكر في تحسين فن العمارة من تزويق وتحسين في طرق البناء، فلم تقتصر مواد البناء على اللبنة والجص والآجر والكلس فقط، بل أصبحت الدور تبنى وتزخرف بالنقوش الخشبية والرخامية[7]، وتدل بقايا الأبنية على أن إقليم الجزيرة الفراتية كان غنيا بأبنيته العامرة وبقصوره الزاهرة حيث تطلعنا المصادر على مدى الذوق الرفيع الذي كان يتحلى به المهندسون والبناؤون في المنطقة، وأنهم حذقوا في إقامة الأبنية الدينية والمدنية، وزودوها بأشكال من العقود والمقرنصات* والتماثيل، كما زينوها بالزخارف والرسوم المتنوعة من آدمية ونباتية وحيوانية[8].

1-خالد يوسف صالح، مرجع سابق، ص451.
2-المقدسي، مصدر سابق، ص149.
3-خالد يوسف صالح، مرجع سابق، ص451.
4-ابن جبير، مصدر سابق، ص107.
5-ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمان بن محمد، المقدمة، دار يعرب، ج1، ط1، ص342.
6-الدوري، مرجع سابق، ص129.
7-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص293.
*المقرنصات: المقرنص هو أحد عناصر العمارة الإسلامية المتميزة ويضبه المقرنص الواحد محرابا صغيرا أو قطاعا طوليا منه وله أشكال متعددة ولا يستعمل إلا في مجموعات مدروسة التوزيع والتركيب حيث تبدو كل مجموعة منه وكأنه بيت من بيوت النحل. للمزيد أنظر: الشيماء محمد سعيد أبو الغيط، المقرنصات دراسة تحليلية تطبيقية، جامعة حلوان، القاهرة، 2009م، ص18.
8-غندور، مرجع سابق، ص210.

وقد انتشرت البنايات الأثرية في هذه المنطقة من مدارس وأربطة، بالإضافة إلى الجوامع السلجوقية التي تميزت بطريقة بناءها حيث كانت تبنى على قاعدة مسدسة، بالإضافة إلى الأضرحة والأسوار وقصور الخلفاء الذين أبدعوا في بناء قصور فخمة[1].

2- الفنون:

يعرف الفن في المعجم الوسيط على أنه " التطبيق العلمي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها ويكتسب بالدراسة والمرانة وجملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة[2]، ويقول ابن منظور: "الفن ضرب من الشيء، ويقال راعينا فنون النبات وأصبنا فنون الأموال"[3].

ومن الفنون التي شاعت في إقليم الجزيرة الفراتية فنون زخرفية، وتشمل زخرفة الكتب والزخارف الخشبية الى جانب الفنون العمرانية.

➢ زخرفة الخشب:

نظرا لتوفر الأخشاب في المنطقة انتشرت في إقليم الجزيرة فنون الزخرفة الخشبية، واستخدم في صناعة المحاريب والمنابر والصناديق، وقد تفوق الصانع الموصلي في زخرفته وحفره وتطعيمه بالعاج والأخشاب الملونة[4]، ومن الآثار الباقية عن الزخرفة الخشبية في الجزيرة، صندوق الإمام يحيى بن القاسم الذي أمر بإنشائه بدر الدين لؤلؤ سنة 637 هـ/1240م، تتجلى فيه دقة الزخارف وجمال الكتابة[5]، بالإضافة إلى الأبواب الجميلة التي صنعت نجد باب الحضرة للغمام ابن الحسن، وأمر بصنعه بدر الدين لؤلؤ بعد إنشاءه الحضرة سنة 646هـ/1248 م[6].

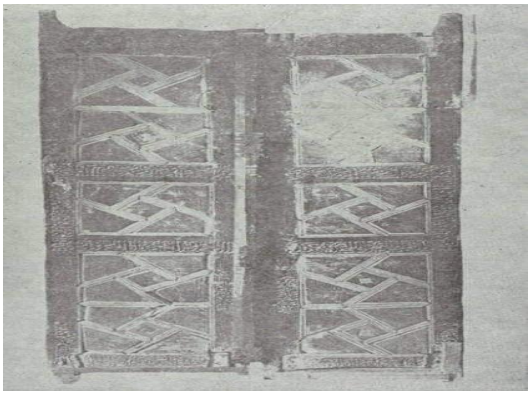

(ملحق9): باب الحضرة[7]

1-حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الإرشاد، 1965م، ص391.
2- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2008م، ط4، ص512.
3-ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، درر العراق، ج10، ص363.
4-سعيد ديوه جي، تاريخ الموصل، مرجع سابق، ص119.
5-نفسه، ص120.
6-نفسه، ص122.
7-سعيد ديوه جي، تاريخ اعلام الصناع المواصلة، مرجع سابق، ص 91.

➢ تجليد الكتب وزخرفتها:

يعتبر فن تجليد الكتب جزءا من الوراقة، ونتيجة إهتمام الحكام في إقليم الجزيرة بالعلم والتعليم وحفظ الموروث من التلف، فقد إنتشر هذا الفن في المنطقة وأول ما حرصوا على تزويقه هو كتاب الله عز وجل، حيث تفننوا في تجميله وتزويقه حتى أنهم كما سبق وذكرنا كتبوا آياته بماء الذهب[1].

وقد قسم الفنانون سطح الجلدة الخارجية للكتاب إلى متن وإطار وتزينت أرضيتها بزخارف هندسية ونباتية فضلا عن استخدام الخط العربي باعتباره عنصرا زخرفيا في زخرفة جلود الكتب[2].

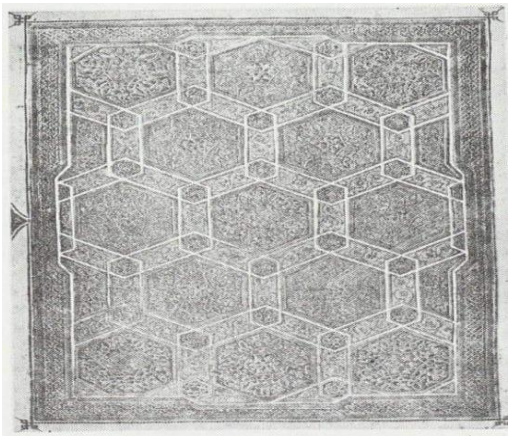

(ملحق10): صورة غلاف مصحف مذهب*.[3]

➢ الزخارف الجصية والآجرية:

مارس العراقيون القدماء الحفر على الجص والرخام والنقش فيه منذ زمن ليس بقريب تطورت الأساليب بتطور العمران في المنطقة[4]، وقد اعتمد الصناع في مدينة الموصل على العناصر المعمارية في زخارفهم واستعانوا الى جانب ذلك بالزخارف النباتية المتطورة المعروفة بالرقش العربي أو التوشيح ولعل خير الأمثلة على الزخرفة في الجص التي وصلت إلينا الجامعان الشهيران الجامع الكبير أو الجامع النوري[5]، وقبة الجامع المجاهدي وكذلك محرابه الذي تظهر في أعلاه الزخارف الجصية التي تتألف من زخارف نباتية تتخللها صور حيوانات كالأسد والغزال وطيور أليفة كالبط والحمام جعلت من هذا المحراب آية في الفن[6].

1-آيات محمد عبد العزيز خرابة، فن التجليد في العصر الإسلامي والاستفادة منه في عمل أغلفة الكتب بالورق المجسم، كلية التربية، 2017م، مجلد33، العدد 9، ج2، ص233.
2-نفسه، ص233.
3-سعيد ديوه جي، اعلام الصناع المواصلة، مرجع سابق، ص208.
4-عبد العزيز حميد صالح، موسوعة الموصل، ج3، مرجع سابق، ص382.
5-نفسه، ص386، ص387.
6-رشيد الجميلي، مرجع سابق، ص442، ص444.

أما بالنسبة للزخارف الآجرية فهي ذات صلة وثيقة بأنواع الزخارف الأخرى لكنها تختلف في نوع المادة المنفذة عليها الا وهي الطين[1]،+ والشاهد على وجود هذا النوع من الزخارف في إقليم الجزيرة الفراتية زخارف مئذنة سنجار 598هـ/1201م وزخارف مزار يحيى بن القاسم 637هـ/1239م الذي يقع في الجهة الشمالية من مدينة الموصل[2].

(ملحق 11): محراب الجامع المجاهدي في الموصل [3]

1-احمد قاسم الجمعة، موسوعة الموصل، مرجع سابق، ج2، ص362.
2-نفسه، ص270، 271.
3-نفسه، ص391.

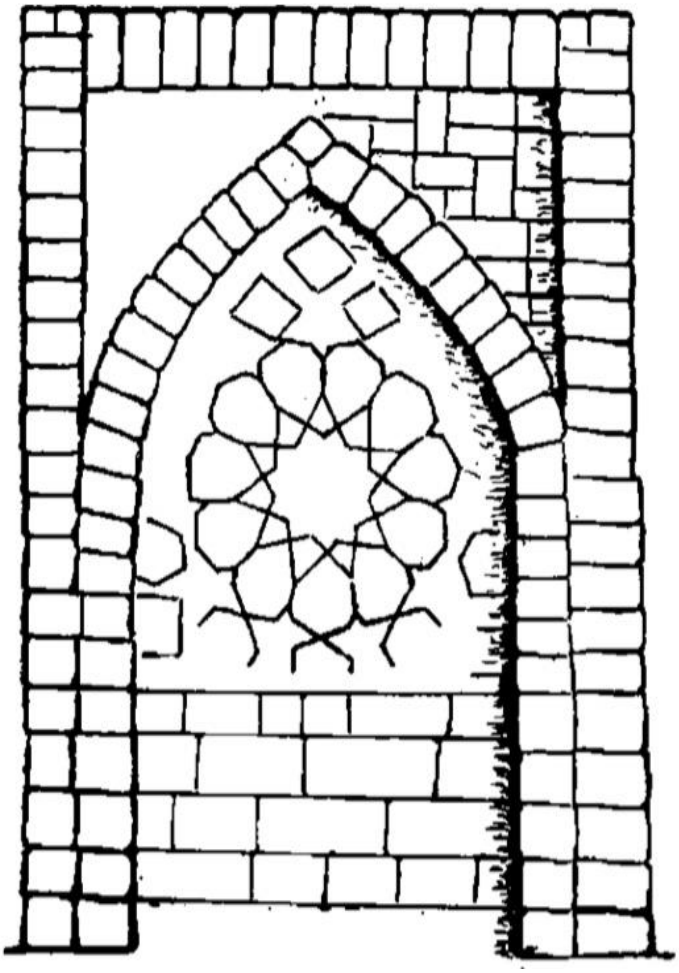

(ملحق12): مشكاة من قاعدة مئذنة سنجار(597هـ/1201م)[1]

1- احمد قاسم الجمعة، موسوعة الموصل الحضارية، مرجع سابق، ج2، ص388.

المبحث الرابع: المكوس

1- تعريف المكس:

لغة: المكس: الجباية، مكسه، يمكسه مكسا، ومكسته، أمسكه مكسا، والماكس: العشار ويقال للعشار: صاحب المكس، والمكس ما يأخذه العشار، يقال مكس، فهو ماكس، إذا أخذ، ويعرفه ابن الأعرابي: المكس درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه، وفي حديث ابن سيرين قال لأنس: «تستعملني" (يقصد المكس) أي على عشور الناس فأمسكهم ويماسكوني: قيل معناه تستعملني على ما ينقص ديني لما يخاف من الزيادة والنقصان في الأخذ والترك، والمكس: النقص، والمكس انتقاص الثمن في البياعة، ومنه اخذ المكاس لأنه يستنقصه[1].

إصطلاحا: لا يختلف معناه عن المعنى اللغوي، فيطلق على الضريبة والجباية والرسوم والعشور والخراج والمغارم ونحو ذلك، وقد غلب استعماله فيما يأخذ أعوان السلطان ظلما عند البيع أو الشراء[2]، يقول الشاعر:

أفي كل أسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم[3]

أما ابن خلدون فيعرفها على أنها ضرائب تفرض في أواخر عمر الدولة حيث يكثر خراجها وانفاقها ومتطلبات السلطان خاصة، حيث لا تكفي الجباية في تغطية تلك النفقات فيلجأ إلى المكس في الأسواق، فيقول: "وربما يزيد ذلك في أواخر الدولة زيادة بالغة، فتكسد الأسواق لفساد الآمال ...ولا يزال ذلك يتزايد الى أن تضمحل"، حيث يعتبر ابن خلدون جباية المكس عاملا هاما في اختلال استقرار الدولة وأحد أسباب سقوطها[4].

وكانت تفرض عادة على السلع التي تباع في الأسواق وعلى البضائع المنقولة من منطقة الى أخرى برا ونهرا داخل الإقليم الواحد [5]وقد ندد العلماء بأمر المكوس منذ ظهورها واعتبروها ضرائب باطلة لا تمت للتنظيم الاقتصادي الإسلامي بصلة، وحاول بعض الوزراء رفعها عن الناس واعفائهم منها، فيذكر أن الوزير علي ابن عيسى حاول فعلا إلغائها حيث خاطب عماله قائلا: "لا رخصة عندي ولا هوادة في حق من حقوق المؤمنين أغض عنه، ولا درهم من ماله أسامح فيه، ولا تقصير في أمور العمل اصبر لقريب أو بعيد عليه، ولا تكن

1-ابن منظور، مصدر سابق، ص4248.
2-ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ج5، ص278.
3-المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، ت: احمد محمد شاكر أبو الأشبال، دار المعارف، ص211.
4-ابن خلدون، مصدر سابق، ص470.
5-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص180.

بإظهار أثر جميل في ذلك أشد عناية منك بإنصاف الرعية والعدل عليها ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها "[1].

وبالعودة الى فترة الدراسة نشير الى وضع الضرائب بصفة عامة وبصفة خاصة المكوس والتي كانت من أهم أنواع الضراب في تلك الفترة.

فقد إمتازت الضرائب في فترة التسلط السلجوقي بعدم الثبات واعتمدت جبايتها على أهواء السلاطين السلاجقة، إضافة إلى أنها لم تكن محددة فكانت تطلب حسب حاجة السلطان السلجوقي للأموال وامتازت بثقلها مما أدى إلى تقليل أرباح التجار والصناع على حد سواء[2].

عندما دخل طغرلبك بغداد فرض الضرائب والمكوس والتي تعتبر من الضرائب المهمة لأنها تمد خزينة السلطان السلجوقي بمبالغ وفيرة، وقد ذُكر أن السلطان ملكشاه عندما أسقطها سنة 479هـ/1086م خاطبه أحد المستوفين بقوله: "يا سلطان العالم قد أسقطت من خزائن أموالك ستمائة ألف ونيف، وكانت هذه الضريبة تؤخذ من جميع البلدان الواقعة تحت السلطة السلجوقية"[3].

كان المكاس يطلق عليه "مختص الحضرة" الحضرة السلطانية السلجوقية لذلك فانه كان يستمد القوة من مساندة السلطان السلجوقي وكان يبالغ في أذى الناس وأخذ أموالهم، وقد كان الوزير أبي طالب السميرمي* ظالما عسوفا فرض الضرائب والمكوس وحددها[4].

وقد بقيت المكوس تشكل موردا أساسيا للخزانات الأرتقية أيضا ولم تكن ثابتة فكانت تزيد أو تنقص بحسب الحاجة السياسية المالية للحاكم الأرتقي وكان يلقى معارضة شديدة من الأهالي والعلماء بالإضافة لبعض الحكام*[5].

ونظرا لأهمية الضرائب الكبيرة ومدى تأثيرها على العامة فقد كان رفعها أو تقليصها من الإصلاحات المهمة التي اهتم بها الحكام الجدد في فتح عهودهم ومن بين الإصلاحات التي طبقها الحكام الأراتقة في إقليم الجزيرة الفراتية نذكر:

إصلاح عام 579هـ/1193م الذي قام به محمد بن قره أرسلان صاحب حصن كيفا في آمد لدى دخوله إليها عام 579هـ/1093م ،ويعقد أحد الرحالة الذين زار المدينة آنذاك مقارنة

1- ابن مسكويه، ابي علي أحمد بن محمد بن يعقوب، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5، ص27.
2-الديلمي، مرجع سابق، ص218.
3-عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص463.
4-الديلمي، مرجع سابق، ص220.
*السميرمي: الوزير الكبير أبو طالب علي بن أحمد بن علي السميرمي، وزير السلطان محمود السلجوقي، صدر معظم، كبير الشأن، شديد الوطأة، ذو عسف وظلم وسوء سيرة، كان يقول قد استحييت من كثرة الظلم والتعدي. للمزيد أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص432.
5-ابن الأثير، التاريخ الباهر، مصدر سابق، ص166.
*رفع الملك العادل نور الدين محمود المكوس في عهده وأقام تعديلات مالية "من عدله أنه لم يترك في بلد من بلاده ضريبة لا مكسا ولا عشرا، بل أطلقها في جميع بلاد الشام والجزيرة معا والموصل. للمزيد أنظر: ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص166.

بين السياسة المالية الظالمة التي كانت سائدة فيها على يد حكامها فيقول :"دخلت مدينة آمد عام 534هـ/1139م ولم يكن بها إلا بقايا رمق وفيها من أرباب العلم والأدب ...لكن جور بني نيسان والمصادرات وكثرة الرسوم والمؤن ألجأتهم إلى التشتت ...فلم يبق بأسواقهم حانوت معمور ...الى أن فرج الله عمن بقي بها وافتتحها الملك محمد بن قره أرسلان الأرتقي سنة 579هـ/1093م[1] رفع المكوس ومحى تلك الرسوم المذمومة وفعل فعل الأكارم الاجواد..."[2]

أما بعد انتهاء الحكم السلجوقي من العراق إنتهاءا كاملا سنة 547هـ/1193م ركنت الدولة العباسية إلى إزالة ما أورثه العهد السلجوقي من الضرائب ورفعت المكوس، حيث ورد أنه أيام المقتفي لأمر الله عادت بغداد والعراق الى يد الخلفاء ولم يبق لها منازع وقبل ذلك كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم الا الاسم[3].

أما في أيام ابنه المستنجد بالله "أزال المكوس والضرائب، واسقطت الضرائب وما كان ينسب الى سوق الخيل والجمال والغنم والسمك والمدبغة والبيع في جميع أعمال العراق، وقد ورد أنه قد أسقطت مكوس كانت تؤخذ من الطرق وغيرها، وفي أيام المستضيء بأمر الله أمر بإسقاط الخراج المجدد والضرائب والمكوس[4].

وقد إستمر فرض ضريبة المكس في المنطقة بين تخفيف وتثقيل حسب رغبة الحكام فنجد في عهد المغول الإيلخانيين قد أثقلت كاهل التجار خاصة ويؤخذ من نقش يرجع الى سنة 713هـ/1330م وُجد في ديار بكر نموذج ما كان التجار يتحملونه من إضافات وقد جاء فيه: "أن يسقط عن تجار آمد المحروسة ما كان يؤخذ منهم من الأوزان والمقررات ...وأن يستمر الكيل عندهم على عادته المستمرة وقاعدته المستقرة"[5].

وإن كان هذا في القرن الثامن هجري ولكن النقش يعطي دلالة واضحة علة أن المكوس والضرائب كانت ثقيلة على كاهل التجار قبل هذا القرن.

1-عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص462.
2-نفسه، ص463.
3-نفسه، ص463.
4-نفسه، ص463.
5-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص181.

الفصل الثالث:

النشاط التجاري في إقليم الجزيرة الفراتية

المبحث الأول: الطرق التجارية في الإقليم

لقد زاد الموقع الجغرافي لإقليم الجزيرة الفراتية من أهميتها الاقتصادية، وذلك نظرا لكونها تتوسط الشرق والغرب، حيث كانت تمر بها قوافل التجارة العالمية من جميع الجهات سالكة الضفة الشرقية لنهر دجلة عبر أرض الجزيرة إلى الضفة الغربية لنهر الفرات، كما كان للموقع المتوسط بين العراق والشام وبلاد الروم والأقاليم الشرقية من الدولة العباسية الدور الأبرز في جعل إقليم الجزيرة ذا أهمية تجارية بالغة[1].

1- الطرق البرية

وقد شكلت الطرق البرية العمود الفقري للتجارة في الإقليم، حيث استخدمت القوافل بوصفها وسائل نقل. ولعل أهم الطرق التجارية في المنطقة خلال فترة الدراسة تتمثل في:

- ✓ **الطريق الأول:** ويبدأ من آمد إلى شمشاط وتل جوفر وجرنان ثم إلى باقعدا وجلاب حتى يصل إلى الرّها، ثم منها إلى حران وتل محر، ثم إلى باجروان ليعود بعدها إلى الرقة[2].
- ✓ **الطريق الثاني:** من الموصل إلى آمد ثم سميساط ومنها إلى جسر منبج ثم بالس فالرقة[3].
- ✓ **الطريق الثالث:** يبدأ من بلد إلى تل أعفر*، ثم إلى مدينة سنجار ثم إلى عين الجبال ومنها إلى سكير العباس ثم إلى الغدين ثم قرقيسيا ليصل الرقة ومنها إلى دوسر والرها[4].
- ✓ **الطريق الرابع:** ويخص الطريق الذي يربط الموصل بمدينة السلام "بَغداذ"، وهو الطريق الذي أشار إليه الإصطخري وابن خرداذبه، غير أن هذا الطريق قد طرأ عليه بعض التغيير في نهاية القرن السادس للهجري وقد حدد أبو الفداء إنطلاقه من الأنبار وصولا إلى تكريت ثم إلى الموصل ثم آمد وسميساط ثم نصيبين، ومنها يتفرع إلى رأس العين وحران ثم الرهّا وبرقعيد وبلد فبغداد[5].

هذه أهم الطرق البرية، ولكن هذا لا ينفي وجود طرق أقل أهمية، أما عن طرق التجارة الخارجية فنجد:

- ✓ **الطريق الأول:** يمتد هذا الطريق من حلب إلى الرقة إلى باجروان، إلى حصن مسلمة ثم جرود والعرادة وكفر توتا ومنها إلى دارا[6].

1-فاروق فوزي، قراءات ومراجعات نقدية في التاريخ الاسلامي، المنهل،2008 ، ص23.
2-سوادي عبد محمد، مرجع سابق، ص304.
3-نفسه، ص305.
*تل أعفر: يقولها عامة الناس أما خواصهم فيقولون تل يعفر، وهو اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل، وهي على جبل منفرد حصينة ومحكمة. للمزيد انظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص863.
4-نفسه، ص305.
5-الإصطخري، مصدر سابق، ص72. ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص96. أبو الفداء ،تقويم البلدان، مصدر سابق، ص273.
6-قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص113.

وطريق فرعي آخر يمتد من مدينة قرقيسيا إلى ماكسين ثم الفدين، فسكير العباس بن محمد (مدينة على الخابور)، ثم إلى عين الجبال، فسنجار ثم تل أعفر فبلد ثم الموصل، ثم بغداد[1].

ويعد هذا الطريق من أهم الطرق التي تؤمن تجارة المنطقة الشرقية لبلاد الجزيرة خلال القرن السادس هجري /الثاني عشر ميلادي[2].

- ✓ **الطريق الثاني:** ويمتد هذا الطريق من حلب إلى الرقة، إلى المبارك فالجرنان ثم نهر سعيد، فقرقيسيا ثم الفاش فخليج بن جميع، ثم نحو وادي السباع وهذا الطريق يسير بمحاذاة الجهة اليمنى لنهر الفرات ويستمر إلى الزراقي ثم النهية الصحيحة، وحتى ألوسة والناووسة، ثم هيت فالأنبار فبغداد[3].
- ✓ **الطريق الثالث:** ويمتد من الموصل إلى آمد وسميساط ثم إلى ملطية[4].
- ✓ **الطريق الرابع:** من بلد ومنها إلى تل أعفر ثم سنجار، ومنها إلى عين الجبال، فسكير العباس، ثم إلى الغدين ثم قريسيا، ومنها إلى الرقة، ومن الرقة إلى حمص فدمشق[5].
- ✓ **الطريق الخامس:** ويبدأ من ميافارقين ثم الى آمد ثم الرهّا، وينتهي عند حلب[6].
- ✓ **الطريق السادس:** وهو طريق خارجي يربط الجزيرة الفراتية ببلاد فارس، ويبدأ هذا الطريق من ميافارقين ثم إلى أرزن فخلاط، ومنها إلى باكرى وخاوي في جنوب أرمينية ثم إلى مرند، وينتهي في تبريز[7].

وهذا الطريق طريق جبلي، وهو يقع شمال طريق خرسان، ويمر ببغداد ومنها إلى حلوان ثم إلى همذان، فالري، ثم إلى إقليم خراسان ومنها إلى نيسابور وطوس ومرو حتى يصل إلى ضفة نهر جيحون عند آمد ثم إلى بخارى وسمرقند[8]. هذه معظم الطرق البرية التي استخدمت في التجارة والنقل.

2- الطرق المائية:

أما عن الطرق المائية، فقد إستخدمت إلى جانب الطرق البرية في النقل، إلا أنها كانت أقل إستخداما وفائدة، وقد يكون السبب هو قلة مجرى الأنهار وشح المياه في بعض فصول السنة خاصة فيما تعلق بفترة الدراسة، إضافة إلى ضيق معظم المجاري في المنطقة، وعدم إمكان القوافل السير فيها[9].

1-سوادي، مرجع سابق، ص302.
2-قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص124.
3-نفسه، ص124.
4-سوادي، مرجع سابق، ص309.
5-سوادي، مرجع سابق، ص309.
6-نفسه، ص309.
7-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص175.
8-جعفر خصباك، مرجع سابق، ص135.
9- ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص96. ابن قدامة، مصدر سابق، ص515. عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص448.

رغم هذا لكن لا يمكننا أن ننفي دور النهران دجلة والفرات واللذان يربطان مدن وقرى الإقليم ببلاد الشام وبلاد الروم والأناضول، وببحر فارس الذي يربطهما بالعالم الخارجي عبر بحر عمان، فبحر العرب، فالمحيط الهندي، مرورا بالمدن والقرى العراقية الواقعة على ضفتي دجلة والفرات[1]. وقد تمثلت وسيلة النقل عبر الأنهار في السفن والأكلاك، ومن بين الطرق النهرية الأكثر استخداما نجد الطريق الذي يصل بغداد بالموصل، ويمر بسامراء وتكريت والطريق الأخر يربط بين بغداد وعانة مارا بالأنبار هيت والحديثة[2].

ورغم قلة المعلومات وشحها حول الطرق المائية واستخدامها للنقل، إلا أن هذا لا ينفي بطبيعة الحال أن بعض مدن الجزيرة خاصة تلك الواقعة على نهر دجلة، فقد كانت تستعمل هذا النهر وهذا أمر أكيد.

فقد كان نهر الفرات همزة الوصل ببلاد الشام وسواحلها من الناحية الشمالية الغربية، والتي تعد أقرب مسافة تصله بالبحر الأبيض المتوسط، ولهذا فقد فضل التجار سلوك هذا الطريق لسهولة النقل فيه خاصة إذا كانت المسافات طويلة في الطرق البرية[3].

رغم هذا لا يمكن الجزم بأن نهر الفرات قد إستخدم كثيرا، بل كان إستخدامه قليلا ويرجع هذا إلى كثرة تعرجاته، وهذه التعرجات تطيل من إمتداده بطبيعة الحال، إضافة إلى كل ما يتخلله من جداول وشلالات والتي تؤدي إلى زيادة سرعة التيار[4].

وعرفت السفن التي تستخدم في الفرات والقادمة من أرمينية باسم "القراقير"* كما بلغت عدد السفن القادمة إلى الموصل سنة 606هـ/1261م، حوالي المئتين وخمسين (250) سفينة غير الأكلاك[5].

1-الحارثي، مرجع سابق، ص240.
2-سوادي، مرجع سابق، ص308. جعفر خصباك، مرجع سابق، ص135.
3-الحارثي، مرجع سابق، ص240.
4-جعفر خصباك، مرجع سابق، ص135.
*القراقير: ج م قرقور: وهي السفن العظيمة التي تحمل الزاد والكراع والمتاع وقد اخذ هذا اللفظ عن الايطاليين. للمزيد انظر: عبد الفتاح عبادة، سفن الاسطول الإسلامي وانواعها ومعداتها، مطبعة الهلال، مصر، م1931، ص6.
5-الحارثي، مرجع سابق، ص241.

(ملحق 13): الكلك* من وسائل النقل التي كانت بين الموصل وبغداد وبين جزيرة ابن عمر وديار بكر والموصل.[1]

1-سعيد ديوه جي، تجارة الموصل في مختلف العصور، دار ابن الاثير، الموصل، العراق، 2013م، ط1، ص19.
* الكلك: كلمة عامية شائعة في الموصل والعراق يقابلها في اللغة العربية الرمث او الطوف ويقول الرحالة الفرنسي جان دي تيفنو: الكلك هو نوع من المواخر لا أوتاد فيه ولا مسمار، بل لا توجد فيه اية قطعة حديدية البتة، ولا سارية ولا شراع. للمزيد انظر: عامر بلو إسماعيل، الاكلاك في الموصل من خلال كتب الرحلات ابان العهد العثماني، مركز دراسات موصلية، العدد 26، 2009م، ص130، ص131.

وأما عن إستخدام نهر دجلة للملاحة فالظاهر أنه بقي محافظا على مكانته ودوره في نقل البضائع منذ القرن الرابع للهجري، وحتى نهاية القرن السابع هجري، ففي سنة 688هـ/1289م ذكر أنه ركب مائتي رجل من الإفرنجة نهر دجلة مرورا بالموصل قاصدين بغداد[1]. وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على استخدام هذا النهر في عملية النقل والمواصلات في القرن السابع هجري. فقد كان نهر دجلة مليئا بالسفن والأكلاك التي تنحدر إلى الموصل من جزيرة ابن عمر، وما يجاورها من بلاد الروم، وإضافة إلى مينائي الموصل وجزيرة ابن عمر، فقد كان هناك ميناء ثالث هو ميناء بلد على دجلة[2].

ولعل هذا دليل آخر على الطرق المائية واستخداماتها، في النقل وعليه فنستطيع القول بأن نهر دجلة والفرات، قد استغلا في نقل البضائع التجارية ولو بشكل طفيف، خاصة تلك التي كانت تأتي من الشرق إلى الشام لتنقل بعدها على ظهور الإبل إلى موانئ البحر المتوسط وقد كان سكان الجزيرة يقومون بحراسة هذه التجارة، ويشرفون على نقلها مقابل أجر معلوم[3].

كما كانت للجسور دور في تنشيط حركة التجارة، في الجزيرة الفراتية، ففي الموصل مثلا جسران أحدهما أنشأه مروان بن عبد الحكم*والآخر أنشأه مجاهد الدين قايماز*، في الربض الأسفل، وفيهما ثمانية عشر مصطبة، على نهر دجلة لتحميل السفن والأكلاك[4].

والجدير بالذكر هنا أن القوافل التجارية قد كانت تختار أسلم الطرق وأقصرها وأقلها مخاطرا فكانت تتخذ هذه الطرق بصفة دائمة، ولكن ما إن تكتشف طرقا أخرى أأمن وأقصر حتى تتحول إليها، وهذا هو السبب الذي أدى إلى كثرة الطرق وتمددها بين مدينة وأخرى، أو بين بلد وآخر[5].

وهذا يظهر لنا أن التجار في المنطقة قد إعتمدوا على وسائط النقل البرية من الحيوانات، ولم تستخدم الوسائل المائية على نطاق واسع[6]، وهذا يرجع إلى الأسباب السابقة الذكر.

دون أن نهمل ذكر طريق الهند التجاري المهم الذي كان يمر بأرض الجزيرة، وتعد حران المركز حيث تمر بها الطرق الرئيسية باتجاه دمشق حتى أصبحت مركزا تجاريا مهما،

1-ابن حوقل، مصدر سابق، ص202، ص203. الحارثي، مرجع سابق، ص242. قداوي، مرجع سابق، ص176.
2-الحارثي، مرجع سابق، ص241.
3-غزوة شهاب احمد مصطفى، الجزيرة الفراتية خلال العصور الاسلامية الاولى، مجلة الجامعة العراقية، العدد 46، ج2، ص241.
* مروان بن عبد الحكم: ابن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف الملك ابو عبد الملك القريشي الاموي ويكنى ابا الحكم وابا القاسم ولد بمكة كان ذا شجاعة ومكر ودهاء. للمزيد انظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، مصدر سابق، ج3، ص476، ص477.
*مجاهد الدين قيماز: ابو منصور الرومي الزيني الخادم الابيض، بنى بالموصل الجامع المجاهدي والرباط والمدرسة، كان لزين الدين صاحب اربل فأعتقه وجعله اميرا وفوض اليه امور اربل. للمزيد انظر: الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي،2003، ط1، ج12، 1038.
4-الحارثي، مرجع سابق، ص241.
5-سوادي، مرجع سابق، ص307.
6-عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص448.

وقد كانت القوافل التجارية التي تسير في الطرق البرية تتألف من البغال والخيل والتي كانت تحمل البضائع غالية الثمن وكذلك يركب عليها التجار المسرعون في سفرهم[1].

كما إستخدمت البغال خاصة في المناطق الجبلية الصعبة خاصة المتوجهة إلى بلاد فارس وأذربيجان، أما الخيول فنجد أن استخدامها كان قليلا وهذا نظرا إلى مكانتها وغلاء أثمانها كما إستخدمت الإبل في الطرق الصحراوية الطويلة التي تقل فيها المياه، وهذا راجع إلى قدرة الجمال على تحمل العطش والجوع[2].

كما إستخدمت قوافل من البغال والحمير وعرفت بـ"الكروان" إضافة إلى الكدش، ويكون عدد الحيوانات فيه كثيرا، ويشرف على سيره وحط رحاله رئيس مهمته مرافقة القافلة والاهتمام بها[3]. فكانت البضائع يحملها البغال والحمير، أما التجار فكانوا يركبون الخيل أو

"الكجاوة" وهي: قفصين مربعي الشكل ضلع واحد منهما متر واحد أو يزيد عنه قليلا ويغلف هذان القفصان بقماش ليحمي الراكب فيه من البرد في الشتاء، ومن الحر في الصيف. كما يتخذ في جانبيه فتحات كالنوافذ حتى ينظر منها المسافرون. ويبدوا أن الأثرياء فقط من يركبون هذه "الكجاوة [4]". ويجدر بنا الإشارة إلى أن التجار قد كانوا يعتمدون على الكتب التي تهتم بوصف الطرق، ويستعينون بالأدلاء لإرشادهم في سفرهم[5].

1-غزوة شهاب، مرجع سابق، ص426.
2-الحارثي، مرجع سابق، ص242.
3-سعيد ديوه جي، تاريخ الموصل، مرجع سابق، ص427.
4-الحارثي، مرجع سابق، ص242، ص243. سعيد ديوه جي، مرجع سابق، ص427.
5-الأعظمي، مرجع سابق، ج 5، ص322.

المبحث الثاني: المحطات التجارية والأسواق.

لقد لعبت الإمكانيات الزراعية والطرق التجارية الداخلية والخارجية، إضافة إلى مختلف الصناعات التي تميزت بها المنطقة دورا مهما في تنشيط الحركة التجارية في الإقليم، وهو ما أدى بطبيعة الحال إلى ظهور وإنشاء عديد الأسواق في المنطقة، فللأسواق الدور الأكبر في تفعيل النمو الاقتصادي، وقد اشتهرت الجزيرة الفراتية بأسواقها الواسعة التي تعرض فيها مختلف البضائع والسلع، حتى صارت محط نزول التجار من داخل الإقليم وخارجه وفيما يلي عرض لأهم أسواق الجزيرة الفراتية:

1- الموصل:

فقد كانت الموصل مركزا للتجارة القادمة من أذربيجان والشام وأرمينية وجنوب العراق، مما جعلها تحتوي على عديد السلع مختلفة المنشأ، وهو ما أدى إلى قيام أسواق عديدة للتعريف بتلك البضائع[1].

ويصفها ابن حوقل فيبدع في وصفها حين يقول: «إن الموصل أضعاف أعمال نصيبين في فسحة الأعمال، وكثرة الضياع وعظم المحل، وغزر السكان وأهل الأسواق، إذ كانت أسواقها واسعة وأحوالها في الشرف والفخم ظاهرة»[2].

ورغم أن ابن حوقل قد وصفها في القرن الرابع للهجري ولكن هذا الوصف وهذه الحالة استمرت إلى القرن السادس للهجري حين أشار ابن جبير في رحلته إلى الموصل إلى أسواقها وقيسارية*للتجار والخانات*التي كانت متواجدة في ربض المدينة، كما أبدى اهتمامه وإعجابه الشديد بقيسارية للتجار بناها مجاهد الدين قيماز وأشاد بحسن بنائها وزخرفتها وإنتظامها واصفا إياها وصفا لا مثيل له في قوله: «وللمدينة ربض كبير فيه الحمامات والخانات والأسواق" .... وبنى أيضا (يقصد مجاهد الدين قيماز) داخل البلد وفي سوقه قيسارية للتجار، كأنها الخان العظيم، تنغلق عليها أبواب من حديد وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض، قد جلي ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له، فما أرى في البلاد قيسارية تعدلها"[3].

1-حسين علي المسري، تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت،1407هـ، ص108.

2-ابن حوقل، مصدر سابق، ص288.

*قيسارية: م جمعها قياسر، وهي مجموعة من المباني العامة وبها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن وفي بعضها مساجد ويعلوها رباع ذات مساكن يقام فيها الصناع والتجار بأجر معلوم. للمزيد انظر: محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، ط2، ص160.

*الخانات: ج م خان وهو مكان يشتمل على ساحة ورواق ومعالف للدواب تؤجر للمسافرين من التجار لمن يريد النوم، فيربط دابته عنده، ولصاحب الخان اجرة معلومة عن كل مسافر وعن كل دابة. للمزيد انظر: ابن عبد الحق، مصدر سابق، ج1، ص488.

3-ابن جبير، مصدر سابق، ص183.

وقد أشار القزويني إلى الموصل باعتبارها إحدى قواعد الإسلام، رفيعة البناء، واسعة الرقعة، فيها بساتين نزهة وجواسيق، وأهلها أهل تدقيق وصنعة[1].

وبالتالي فقد كانت تخرج من الموصل القوافل العديدة المتجهة إلى حلب محملة ببضائع الشرق، وحاصلاته وتسير على طريق حلب إلى سواحل البحر المتوسط، وهكذا أصبحت الموصل من المدن التجارية الكبيرة في العالم[2] وأضحت بجدارة حاضرة إقليم الجزيرة الفراتية، اجتمعت فيها المرافق التجارية المختلفة من أسواق وحوانيت وحمامات وخانات، حتى أنه كان فيها وحدها ستة وثلاثون(36) سوقا، لكل سلعة أربعة أسواق خاصة بها تعرض فيها وتباع وتشترى منها[3].

وكما تجمعت في الموصل كل المرافق التجارية، انجذب إليها التجار من مختلف بقاع الأرض حتى أضحت من أهم المراكز التجارية الكبيرة في الشرق يردها مختلف البضاعة والتجارة تصدر منها إلى مختلف الأقطار[4].

وهذا ما تعرض إليه ابن حوقل في قوله: «وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والمساحات والعمارات، ما دعت إليه سكان البلاد النائية فقطنوها وجذبتهم إليها برخصها وعيرها وصلاح أسعارها، فسكنوها، وهي فرضة لأذربيجان وأرمينية والعراق والشام»[5].

وقد بنيت الخانات لاستقبال التجار ومن يقصدون البلد فيقيمون فيها، كما كانت مخازن لبضائع أصحاب الدكاكين في الأسواق ومأوى ومرابط مؤقتة لحيوانات التجار اللذين يبتاعون بتلك الأسواق[6].

ويحدثنا ياقوت الحموي عن قرية باعشيقا من قرى الموصل فيقول: «إن لها سوقا كبيرا، وفيه حمامات وقيسارية يباع فيها البز»[7].

فجميع التجار المعروفين بالموصليين واللذين كانوا يحملون التوابل والعقاقير بكميات كبيرة بين بلاد وأخرى هم من الموصل[8].

وقد قامت عديد الأسواق في الموصل ومن بينها سوق الغنم، وسوق الطعام، وسوق الأساكفة... وغيرها[9].

1-القزويني، مصدر سابق، ص209.
2-سعيد ديوه جي، مرجع سابق، تاريخ الموصل، مرجع سابق، ص42.
3-الحارثي، مرجع سابق، ص243.
4-سعيد ديوه جي، تجارة الموصل في مختلف العصور، مرجع سابق، ص11.
5-ابن حوقل، مصدر سابق، ص290.
6-ابن جبير، مصدر سابق، مصدر سابق، ص184. جعفر خصباك، مرجع سابق، ص142.
7-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص324.
8-جعفر خصباك، مرجع سابق، ص138.
9-المسري، مرجع سابق، ص109.

وقد إمتازت أسواق الموصل بالإمتداد الطولي المتوازي لوحدات متماثلة من الدكاكين المتلاصقة على جانبي طرق وممرات ضيقة تعلوها سقوف مقببة ذات فتحات جانبية للتهوية والإضاءة[1].

كما كان بالموصل قيسارية خاصة ببيع العطور، وتسمى بقيسارية المسك، بها حوالي الاثنا عشر محلا تجاريا لا يبيع سوى العطور[2].

وقد ذكر ابن حوقل أنه في القرن الرابع للهجري "كان بالموصل من الأسواق الاثنان والثلاثة والأربعة...وفي السوق المائة حانوت وزائد، والمحال والفنادق[3].

وأما في القرن السابع للهجرة، فقد أضحى بالموصل ثمانية وأربعون ألفا وخمس مائة وخمس عشرة حانوتا(48515)[4].

ومن مبلغ ما وصل إليه نشاط الحركة التجارية في الموصل، بلغ ما يجبى من أسواقها عشرة ألاف(10.000) درهم في اليوم الواحد[5].

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إزدهار أسواقها وتنوع حاصلاتها وصناعاتها.

ورغم هذا الإزدهار إلا أن الخلاف بين المماليك والإيلخانيين قد كان سببا في ضياع الأمن وقطع الطرق على التجار وبالتالي منعهم في كثير من الأحيان من بلوغ الأسواق وعرض بضاعتهم، حتى أن هذا الخطر إقترب من الموصل سنة 684هـ/1385م فأغار عسكر الشام على ديار بكر والموصل وأربل، وقتل وأسر الكثير من أهلها وحطم أسواقها ونهب أموال التجار في قيسارية الموصل[6].

1-ابن جبير، مصدر سابق، ص184.
2-الحارثي، مرجع سابق، ص243، ص244.
3-ابن حوقل، مصدر سابق، ص195.
4-الحارثي، مرجع سابق، ص243.
5-المسري، مرجع سابق، ص109.
6-خصباك، مرجع سابق، ص146.

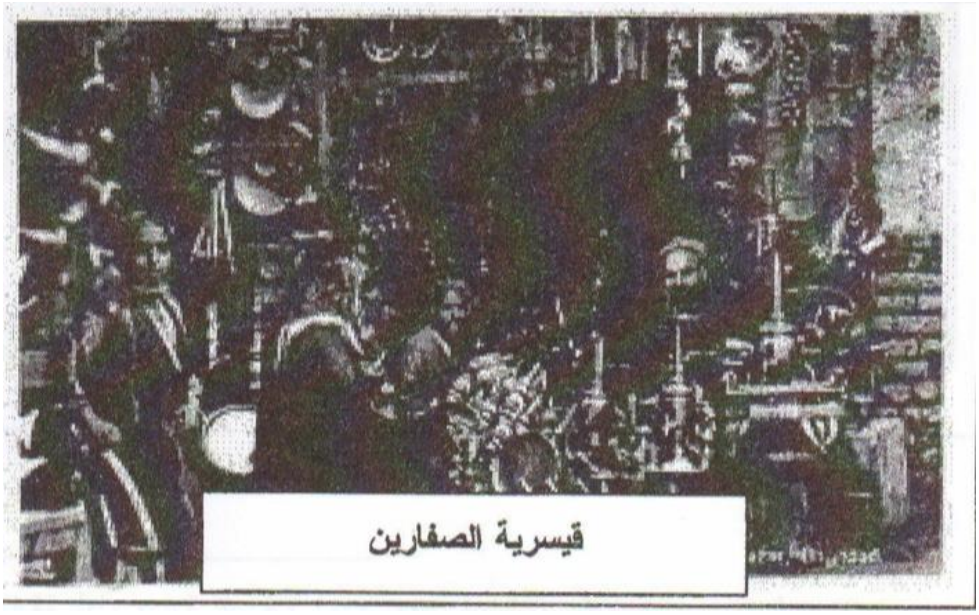

(ملحق14): قيسرية الصفارين[1].

2- دنيسر:

ربض من أرباض ديار بكر، كانت قرية يجتمع الناس في صحرائها كل يوم أحد للبيع والشراء، ثم ما لبثت أن إنتشر فيها العمران، كنتيجة لمتطلبات التجارة، فأنشئت فيها الخانات والفنادق والحمامات والأسواق المختلفة، وذلك لتسير العمليات التجارية، فأصبحت بعدها دنيسر مركز تجاريا كبيرا تجلب إليه البضائع المختلفة من سائر البلاد[2].

وقد تحدث ابن حوقل عنها فقال: «يجتمع الناس في صحرائها كل يوم أحد للبيع و الشراء يجلب إليها الجهاز من سائر البلدان وقد استوطنها الناس من كل فج، وكثر بها الارتفاع والضمانات، فقد كان يوم الأحد يقام السوق بمدينة دنيسر ويحضره التجار ببضاعتهم من مختلف البلدان»[3] ،وقد وصف ابن جبير أسواق دنيسر من خلال رحلته قائلا:«...كان مقامنا بدنيسر إلى الجمعة الرابعة من ربيع الأول عام 580هـ/1184م لرغبة أهل القافلة لشهود سوقها ،لأن بها يوم الخميس والجمعة والسبت و الأحد سوق حفيلة يجتمع لها أهل هذه الجهات المجاورة لها والقرى المتصلة بها، لأن الطريق كلها يمينا وشمالا قرى متصلة، وخانات مشيدة، ويسمون هذا السوق المجتمع إليها من الجهات "البازار" وأيام كل سوق معلومة»[4].وبهذا يكون ابن جبير قد وفى واستوفى في وصفه لأسواق دنيسر.

1-سعيد ديوه جي، تجارة الموصل في مختلف العصور، مرجع سابق، ص 15.
2-السبعاوي، حنان عبد الخالق علي، ابن النمش(620هـ/1223م)، وتراجم موصلية في كتابه تاريخ دنيسر، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، 2018، العدد 49، ص27.
3-ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.
4-ابن جبير، مصدر سابق، ص219-ص220.

أما ابن خلكان فقد وصفها على أنها "رأس الدنيا لأنها ملتقى التجار[1]، فقد كان لوقوعها على الطرق التجارية الرئيسية لشمالي العراق والجزيرة وأرمينية وبلاد فارس والشام من العوامل المهمة التي أدت إلى انتعاش التجارة في ديار بكر[2].

أما ياقوت الحموي الذي زارها ثانية سنة 623هـ/1226م قال «بأنها صارت مصرا لا نظير لها كبرا وكثرة أهلها وعظم أسواقها»[3].

3- حران:

اشتهرت هذه المدينة الفراتية بحسن عمارتها وأسواقها، كما تعد هذه المدينة قصبة ديار مضر، بينها وبين الرهّا يوم، وبينها وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، ولحرّان كما وصفها ابن جبير من خلال رحلته، «.... أسواق حفيله الانتظام عجيبة الترتيب مسقفه كلها بالخشب، وقد بني عند كل ملتقى أربع سكك أسواق، منها قبة عظيمة مرفوعة مصنوعة من الجص هي كالمفرق لتلك السكك، ويتصل بهذه الأسواق جامعها وحوانيتها، كأنها الخانات والمخازن اتساعا وكبرا، وأعالي أسواقها مسقفه»[4].

4- جزيرة ابن عمر:

وهي محطة تجارية، تمر منها القوافل التجارية، واسعة الخيرات يصفها المقدسي «بأنها واسطة النقل بين العراق والشام»[5]. وهذا دليل على أن القوافل التجارية القادمة من العراق إلى الشام أو العكس كانت تمر بجزيرة ابن عمر، ويقول عنها ابن حوقل إنها فرضة لأرمينية وبلاد الروم ونواحي ميافارقين وآرزن، وتصل منها إلى الموصل المراكب المليئة بالتجارة والبضائع كالعسل والسمن والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب وغيرها من المنتجات[6].

5- الرقة:

تتمتع الرقة بموقع جغرافي مهم، فهي نقطة متوسطة من الفرات، وموضع لتقاطع الطرق المتوجهة إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، إكتسبت مدينة الرقة أهميتها التجارية من موقعها المميز، كما تحتل هذه المدينة مركز الريادة في استيراد وتصدير البضائع، فقد كانت تصدر لمدينة بغداد الدقيق والزيت اللذان كانا يحملان إليها في السفن[7].

1-ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص147.
2-السبعاوي، مرجع سابق، ص27.
3-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص612.
4-ابن جبير، مصدر سابق، ص220، ص222. ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص235.
5-المقدسي، مصدر سابق، ص136.
6-ابن حوقل، مصدر سابق، ص273، ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص138.
7-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص59.المقدسي، مصدر سابق، ص81.

وهذا دليل آخر على استخدام الطرق النهرية. وقدرة الفرات على حمل السفن والأكلاك.

6- نصيبين:

تقع على طرق القوافل من الموصل إلى الشام، وبينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل مسافة ستة أيام وبينها وبين دنيسر يومان، ازدهرت فيها التجارة وتعددت فيها الأسواق والخانات، تعد محطة تجارية مهمة ويقول عنها ابن جبير في رحلته: «فكان نزولنا بها في خان خارجها، وبتنا بها ورحلنا في قافلة كبيرة من البغال والحمير...»[1] وهذا إن دل على شيء فيدل على أن القافلة كانت مليئة بالبضائع.

7- مدينة منبج:

مدينة واسعة ذات خيرات كثيرة، تميزت بأسواقها وسككها الفسيحة المتسعة، ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن متسعة وكبيرة، وأسواقها مسقفه[2].

8- قلعة جعبر:

مدينة على الفرات بين بالس والرقة، وهي برية بحرية تقع على تل مشرف على نهر الفرات وهو ما أعطاها موقعا تجاريا مهما، تميزت بكونها كثيرة الأرزاق عامرة الأسواق[3].

9- هيت:

تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات، ذات نخل كثير وخيرات واسعة، تعد محطة تجارية مهمة، حيث أن حركة مرور التجارة عبرها كانت كبيرة، وقد قدر خراج المرور فيها سنة 306هـ/918م حوالي ثمانين ألفا ومئتين وخمسين دينارا[4].ولعل هذه الحركة التجارية العظيمة قد استمرت إلى القرن السادس والسابع للهجري باعتبار الموقع الجغرافي.

1-ابن جبير، مصدر سابق، ص194، ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص138.
2- ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص260.
3-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص142.
4-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص421.

10- ميافارقين:

تتميز مدينة ميافارقين بموقع متوسط بين العراق وبلاد الشام وأرمينية وأذربيجان وتمثل صلة الوصل بين طرق المواصلات البحرية والتجارية في جنوب شرق أسيا وجنوب أوروبا، وهو ما أهلها لأن تمثل أقصر الطرق بين هاتين المنطقتين، فضلا عن قربها من بلاد فارس والخليج العربي، وتوفر إمكانية وسهولة التواصل مع مصر وشمال إفريقية عن طريق بلاد الشام، فهي مهمة للتجارة[1] ويذكر الفارقي في تاريخه أنه كان بها ربض يسمى المحدثة فيه العديد من الأسواق والخانات، وفيها سوق يباع فيه الخيل[2].

كما كانت أرباض المدن الكبرى من ديار بكر تزدحم بالأسواق كحصن كيفا، وماردين[3]، إضافة إلى مدينة أربل وهي مدينة كبيرة بها قلعة ولقلعتها خندق عميق، وسور يقطعها في المنتصف وهي تقع على تل من التراب، وفي هذه القلعة حسب ما ذكره الحموي أسواق ومنازل للرعية[4].

ويصف ابن جبير ديار بكر فيقول بأنه كانت حافلة بالأسواق وأرزاقها واسعة في عهد الأراتقة[5].

وفي حديث قدامة ابن جعفر عن الطريق إلى آمد والرقة من ناحية الشمال وصف قرية جرنان قائلا: «.... ومن تل جوفر، إلى جرنان قرية آهلة كثيرة الأسواق، ستة فراسخ، ومن جرنان إلى بامقرا وبها سوق...»[6].

وعلى ما يبدو فإن الخيرات الزراعية والصناعات لمدن الجزيرة الفراتية كان لها اليد العليا في كثرة الأسواق وجعل هذه المدن من مراكز التجارة، فقد كان لزاما على هذه المدن أن تبيع منتجاتها وتستورد حاجياتها المختلفة.

وقد تحدث ياقوت الحموي عن أسواق الجزيرة الفراتية فذكر "بلدة برقعيد" والتي كانت ممرا للقوافل من الموصل إلى نصيبين، ويذكر أنه كانت بها مائتا حانوت ولكنه يتأسف على حالها فيقول: " أما الآن فهي خراب صغيرة حقيرة وأهلها يضرب بهم المثل في اللصوصية"[7].

ويقول عن قرية شقلاباذ في الجزيرة الفراتية: "ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة، ينقل عنبها إلى مدينة اربل العام بطوله"[8].

1-نهى فضل الله حميد، إمارة ميافارقين الأيوبية ووقوفها في وجه الغزو المغولي(627-658هـ/1230-1260م)، قسم التاريخ، جامعة دمشق، مجلة دراسات تاريخية، العددان 125-126، 2014م، ص125، ص135.
2-الفارقي، مصدر سابق، ص82.
3-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص390/ القزويني، مصدر سابق، ص259.
4-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص186.
5-ابن جبير، مصدر سابق، ص188/ عمر عماد الدين، إمارة بني أرتق، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1968م، ص97.
6-ابن قدامة، مصدر سابق، ص119.
7-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص387.
8-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص355.

ويقول عن باشرى بلدة قريبة من الموصل: " فيها سوق وبزار وسوقها يقام فيها كل يوم خميس وإثنين"[1].

إضافة إلى قرية كرمليس قرب الموصل فيقول ياقوت الحموي:" بها سوق عامر وتجار"[2]، وفي بلدة كباث لبني تغلب كان يقام بها سوق في الجاهلية قبل الفتح الإسلامي[3]، وفي بلدة تل هفتون من نواحي اربل: "سوق حسنة وخيرات واسعة "، كما تحدث عن بلدة تقع على الخابور تدعى "مجدل" فقال: "بها أسواق كثيرة وبازار قائم"[4]

وأحيانا كثيرة كان الحموي يذكر أنواع الأسواق وأسمائها فيقول عن مدينة دير الرمان بين الرقة والخابور أنها تقام بها أسواق للبادية[5]، كما ذكر بلدة تل محري قرب الموصل وذكر أن بها سوق وحوانيت متعددة[6].

ورغم شح المعلومات حول الأسواق إلا أنه يمكننا أن نشير إلى بعض الأسواق التي كانت منذ القرن الرابع وحتى نهاية السادس وبداية القرن السابع ومن بينها:

- **سوق الطعام**: حيث كانت تباع فيه اللحوم والخضر والمؤن والحبوب والسمن والبقول وقد تواجد هذا السوق في أغلب مدن الجزيرة الفراتية[7].
- **سوق البزازين*:** حيث ذكر ياقوت الحموي أنه كان في مدينة السلامية قيسارية للبز[8]. وهو نسبة لقماش البز حيث يعرض هذا القماش في هذا السوق ويباع ويشترى منه[9].
- **سوق العطارين:** وهي أسواق تحوي حوانيت لبيع السكر والعقاقير وجميع السلع المشابهة[10].
- **سوق العطور:** وفيه تباع العطور والبخور واللاذن والخلوق والمحلب[11].
- **سوق الصوافين:** وفيه يباع الصوف والوبر والغزول وشعر الماعز والجلود والفرو[12].

1-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص322.
2-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص433.
3-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص45.
4-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص57.
5-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص511.
6-نفسه، ص43.
7-الفارقي، مصدر سابق، ص80.
*هم تجار يجتمعون في أسواق يباع فيها البز، وحباثيات القطن أو الكتان، وقد عرفت تلك الأسواق باسمهم، للمزيد أنظر: اليعقوبي أحمد بن إسحاق بن واضح (تـ 284هـ)، البلدان، منشورات محمد أمين الفناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص36.
8-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص113.
9- سوادي، مرجع سابق، ص324.
10-الفارقي، مصدر سابق، ص206.
11 سوادي، مرجع سابق، ص324.
12-نفسه، ص324.

- **سوق التركمان:** وهو سوق يختص بطائفة التركمان يبيعون فيه بضائعهم المختلفة[1] إضافة إلى سوق النشابين حيث تباع فيه مختلف أنواع الأسلحة من سكاكين ونشاب والرماح والسيوف والخناجر المختلفة[2].

إضافة إلى أسواق أخرى كسوق الحدادين، وسوق النجارين وسوق القصابين وسوق الصاغة وسوق الزجاجيين، وسوق الطيور وسوق الدقيق[3] وغيرها من الأسواق التي ساهمت في انتشار التجارة داخليا وخارجيا[4].

ونلاحظ هنا ظاهرة تخصص الأسواق، حيث أنه كان لتسمية الأسواق وتخصصها علاقة بنوع السلع والبضائع التي تعرض في هذه الأسواق، فأصبحت كل سوق منفردة حسب نوع البضاعة المباعة فيها[5].

ويبدو أن تخصص الأسواق قد سهل مهمة الإشراف الحكومي على الأسواق، كما أن هذا الأمر ساهم في تجميع أصحاب الحرف الواحدة وأصحاب المهنة الواحدة في مكان وسوق واحد، كما أن لتخصص الأسواق ميزة أخرى هي أن التاجر الجشع لن يستطيع رفع سعر سلعته لوجود منافسين له يبيعون نفس سلعته[6].

والأكيد أن الأسواق قد لعبت دورا كبيرا في الدولة العربية الإسلامية بصفة عامة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، فقد كانت الأسواق مراكز للبيع والشراء وعقد الصفقات، وفيها يلتقي المسلمون بعضهم ببعض، وفيه تختلط عناصر السكان المختلفة من عرب وعجم، ومسلمين وأهل ذمة[7].

1-سوادي، مرجع سابق، ص324.
2-الفارقي، مصدر سابق، ص206.
3-البلاذري، فتوح البلدان، مصدر سابق، ص247.
4-ايمان عبد الجبار محمود اللهيبي، التجارة الداخلية والخارجية في الدولة العربية الاسلامية، العصر العباسي(132-656هـ/749-1258م)، 2017م، العدد 57، ص191-192.
5-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص328.
6-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص328.
7- ايمان عبد الجبار، مرجع سابق، ص189.

المبحث الثالث التجارة الداخلية

لقد كان ظهور الأسواق والمحطات التجارية في مدن إقليم الجزيرة الفراتية من أبرز مظاهر إزدهار التجارة خلال فترة الدراسة، حيث تبوأت الجزيرة الفراتية بمختلف مدنها مكانة مهمة في إطار التجارة على المستويين الداخلي والخارجي على حد سواء، ويبدو أن تطور الإقليم في المجالات الاقتصادية الأخرى كالزراعة والصناعة وتربية الحيوانات، إضافة الى توفر المواد الخام في بعض مدن الإقليم كالزجاج والأشجار المثمرة والمعادن وموارد الأخشاب، قد ساهم بشكل كبير في النشاط التجاري للمنطقة.

فقد إهتمت الحكومات المتعاقبة على الإقليم بالتجارة وسعت الى ازدهارها، فالدولة العباسية مهدت للتجارة بشق الطرق وحفر الآبار وبناء المحطات للاستراحة على إمتداد الطرق التجارية، وأنشأت المنابر في الثغور، وبنت الأساطيل لحماية السواحل من غارات اللصوص وقطاع الطرق، وإهتموا ببناء الفنادق والخانات والقياسر لحماية التجار وبضائعهم[1].

كما إهتم الأتابكة بعمارة الموصل وتقليل الضرائب حتى صارت الموصل في القرنين السادس والسابع هجري من أهم المدن المنتجة، وازدهرت التجارة بها[2]، ومن الضرائب التي فرضها أتابكة الموصل والجزيرة على التجار نجد المكوس وقد أنشأت لها دور في أماكن مختلفة من بلاد الجزيرة، خاصة على الأنهار حتى أن السفن كانت تمنع من المرور مالم تدفع الضريبة المقررة عليها[3].

كما فرضت ضريبة على الدور والحوانيت في أتابكيات الموصل والجزيرة عرفت بـ "العقار" أما المعادن التي كانت تستخرج في بعض بلاد الجزيرة فكانت ضريبتها "الخمس"[4]، كما اعفت الحكومة الأسواق من كثير من الضرائب وشددت الرقابة عليها وتابعت ارتفاع الأسعار حتى أنهم وضعوا حراسا على الأسواق[5]. أما في العهد الأيوبي فقد كانت السياسة الضرائبية اتجاه الحرف والتجار معتدلة، ومن مظاهر النشاط التجاري في العهد الأيوبي في الإقليم بناؤهم للخانات لتكون محطات إستراحة للقوافل والتجار، حيث قام حسام الدين علي الموصلي حاجب الملك الأشرف (تـ635هـ/1237م) ببناء خان بين مدينتي حران ونصيبين[6] وهذا دليل كاف على وجود تبادل تجاري بين المدينتين، وأن القوافل التجارية الكثيرة كانت تمر على هذا الطريق، وقد كان من نتائج هذا الاهتمام أن أصبح عصر الدولة الأيوبية عصر إزدهار وتطور ونمو لتجارة[7].

1-ابراهيم أيوب، التاريخ السياسي والحضاري، العالمي، بيروت، لبنان، ط1، 1989، ص245. محمود اللهيبي، ايمان عبد الجبار محمود، مرجع سابق، ص171.
2-السعيد ديوه جي، تجارة الموصل في مختلف العصور، مرجع سابق، ص14.
3-عصام عبد الرؤوف الفقي، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص238.
4-الحارثي، مرجع سابق، ص239.
5-الحارثي، مرجع سابق، ص246.
6-سوادي، مرجع سابق، ص320.
7-صلاح حسن محمد الطائي، أثر الشام الحضاري في مصر في العصر الأيوبي، المنهل، 2014، ص113.

وقد كانت الموصل من المراكز التجارية الكبيرة في الجزيرة الفراتية، حتى أنها إشتهرت بتصدير الأخشاب إلى كثير من مدن العراق، ففي العصر العباسي أصبحت بغداد ومدن عراقية كثيرة أخرى تعتمد إعتمادا كبيرا على ما كان يصلها من بضائع من ولاية الموصل وخاصة المواد الغذائية[1]، فقد كانت الموصل ميرة بغداد تنحدر منها يوميا السفن والأكلاك المحملة بكل ما تحتاجه المدينة[2].

وقد أشار المقدسي لأهمية التجارة بين الموصل وبغداد* في قوله:" الموصل ميرة بغداد وإليه قوافل الرحاب"[3].

وقد كان توقف تصدير المواد المختلفة من الموصل إلى بغداد لأي سبب من الأسباب يؤدي ألى شحة في هذه المواد في أسواق بغداد ،وبالتالي خلق أزمة إقتصادية وإرتفاع الأسعار والغلاء وهو ما قد يؤدي إلى التمرد والفتن في كثير من الأحيان[4]، ولم يقتصر الأمر على بغداد فقط بل كانت الموصل تمد العراق بمختلف مدنها بما تحتاجه خاصة الحبوب في أوقات الشدة[5]، حيث نجد أنه في حوادث سنة 684هـ/1285م يذكر ابن الفوطي أنه نقل من الموصل إلى بغداد التي شهدت في تلك السنة ارتفاعا كبيرا في أسعار الحنطة والشعير والدقيق والخبز المدقق[6]، ويبدو هذا دليلا واضحا على أن الموصل قد كانت تحقق إكتفاءا ذاتيا كبيرا وكانت فعلا ممولة المدن العراقية في أوقات الشدة والغلاء.

والشيء الملاحظ هنا أن التجارة بين الموصل وبغداد قد كانت تعتمد أكثر على الطرق النهرية والسفن والأكلاك والزوارق التجارية[7].

ومن البضائع التي كانت تحمل من الموصل الى المدن العراقية نجد:

الحبوب والعسل والنمكسود* والفحم والشحوم والجبن والسماق (نوع من التوابل والبهارات)، وحب الرمان والحديد والأسطال والسكاكين والنشاب وسمك الطريخ والسلاسل، كما كانت تصدر الخيل والإبل والسيور الجلدية والأواني النحاسية والزجاجية والدهون وحتى الأدوية إلى بغداد ومختلف المدن الفراتية[8].

1-الأعظمي، مرجع سابق،ج5، ص317.
2-السعيد الديوه جي، تجارة الموصل في مختلف العصور، مرجع سابق، ص11.
*ويذكر ياقوت الحموي ميناء باب الشعير في بغداد ويقول عنه: "كانت ترفأ إليه سفن الموصل"، أنظر: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص308.
3-المقدسي، مصدر سابق، ص140.
4-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص317.
5-الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مرجع سابق، ص158-159.
6-ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ت: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ط1، ص446-447.
7-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص317.
*النمكسود : وهو لحم مجفف حار ويابس، جيدة من السمين الرطب. للمزيد أنظر: محمد بن أبي بكر بن القيم جوزية، الطب النبوي، ت: مراجع محمد كريم، دار الهلال، لبنان، 1983م، ج1، ص288.
8-صفا قاسم عبد اللطيف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العراق ابان عهد السلاجقة (447-590هـ/ 1055-1169م)، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة النيلين، قسم التاريخ، جمهورية السودان، 2017م، ص89.

إضافة إلى تجارة التوابل والعقاقير، حتى أنه كما أشرنا سابقا إلى أن المتاجرين بهذه البضاعة عرفوا في مختلف البلاد بالموصلين[1].

كما إشتهرت الموصل كذلك بصناعة المطاحن المعروفة بالعربات والمصنوعة من الخشب والحديد، وتصديرها الى مختلف المدن الفراتية[2].

وإمتازت الموصل بتربية النحل فتوفر في أسواقها العسل وحققت الإكتفاء الذاتي وصدرت منه الى بغداد وغيرها من المدن، فقد كان يرد بغداد وحدها من مدينة الموصل أطنانا من العسل، وهذا ما أكده الثعالبي في تحديد ما كان يرد بغداد من العسل بعشرين ألف رطل[3]، كما كانت العلاقة التجارية بين الموصل وبغداد في نشاط مستمر وازدهار ولكثرة السفن التجارية الصاعدة الى الموصل من بغداد، تطلب الأمر قيام مرفأ خاص ترسو فيه السفن المحملة بالبضائع الواردة من الموصل[4].

ومن مبلغ ما وصل اليه نشاط الحركة التجارية في الموصل أن بلغ ما يجبى من أسواقها مقدار 10.000 درهم في اليوم الواحد[5]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نشاط الحركة التجارية في هذا البلد، وتعد التجارة بين الموصل وجزيرة ابن عمر احدى أوجه النشاط التجاري الداخلي، حيث أنه كانت تصل الى الموصل من جزيرة ابن عمر المراكب مليئة بالعسل والسمن والجبن واللوز وغيره، وهذا ما أكده ابن حوقل في القرن 4هـ وبعده الإدريسي حين قال: "وجزيرة ابن عمر تصل المراكب منها الى الموصل مشحونة بالتجارات"[6].

هذا وإشتهرت الموصل كذلك بتجارة الكتب فكان بها سوق للوراقين، وقد إهتم أمراء الموصل وعلمائها بتجارة الكتب فاشتهر ياقوت الحموي الذي ولد ببلاد الروم وأسر من بلاده وإشتراه تاجر من بغداد وألحقه بالكتاب ليعاونه في تجارته، ولما توفي مولاه إشتغل ياقوت أول الأمر بنسخ الكتاب بالأجرة، ثم غادر بغداد إلى عدة مدن منها الموصل التي دخلها سنة 617هـ/1220م هاربا من المغول[7].

كذلك نجد أحمد بن جعفر بن الحسن بن علوان بن حمزة التكريتي الأصل بغدادي المولد والمنشأ، وقد كان دلال الكتب وبائعها وكان كثير التردد الى الموصل وأقام بها عدة مرات

1-جعفر خصباك، مرجع سابق، ص138.
2-ابراهيم أيوب، مرجع سابق، ص244.
3-الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت429هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعروف، القاهرة، 1908م، ص427.
4-سوادي، مرجع سابق، ص309.
5-حسين علي المسري، ص108، ص109.
6-الادريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، مجلد1، ص664.
7-مها سعيد حميد، الوراقون في الموصل خلال العصور العباسية من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري، دراسات موصلية، 2017م، العدد 46، ص12.

كتاجر للكتب (654هـ/1256م) وأبو جعفر بن السمين الوراق (523هـ-588هـ /1128-1192م) قدم من بغداد الى الموصل حتى وفاته[1].

وقد كان في الموصل أكثر من خمسة عشر وراقا منذ القرن الرابع للهجري حتى نهاية القرن السابع للهجري[2].

وتعد تجارة الكتب من المهن الرفيعة والشريفة، ففيها يتم نشر العلم ويعم النفع، ويدخل تجار الكتب في باب الوراقين[3].

ولم تتوقف الصادرات على الموصل فحسب، بل صدرت سنجار إلى بغداد اللوز والبندق والسماق والفواكه المقددة والموازيين والرصاص[4]، أما قرقيسيا والتي كانت فواكهها تجلب الى العراق في فصل الشتاء[5]، وهذا دليل على أن الفواكه فيها قد كانت متوفرة على مدار السنة، إضافة الى الزيتون والأترج، والسمسم والرمان الكبير المجفف[6].

والرقة واسطة ديار مضر، ومقصد الوارد والصادر ومعقل التجارات، وبها أسواق وتجارات وصنائع وأهلها مياسير[7]، وهذا دليل كاف على أن التجار قد كانوا ذوي سعة في المال، وأن التجارة كانت تدر الأرباح على أصحابها، وأن الضرائب التي كانت تؤخذ منهم لم تكن تؤثر على ما يحصلون عليه.

أما الرافقة فقد كانت ربض الرقة الجامع في الصاغة، وعرفت كذلك بتجارة الصابون والزيت والأقلام[8].

كما كانت نصيبين* مقصد التجار وبها صناع وطرز لصنع جيد الثياب[9]، أما الزجاج فقد حمل من ماردين الى سائر بلدان الإقليم إلى العراق وقد وصفه ابن حوقل فأبدع في وصف جمال هذا الزجاج: "وبجبل ماردين جوهر الزجاج الجيد، ويحمل منه إلى سائر بلدان الجزيرة والعراق وبلد الروم، فيفضل على ما سواه لجوهرية فيه"[10].

1-الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن عماد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت: الأرناؤوط، ج4، ص293.
2-مها سعيد حميد، 2الوراقون في الموصل خلال العصور العباسية من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري، مرجع سابق، ص14.
3-نفسه، ص11.
4-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص318.
5-المقدسي، مصدر سابق، ص204.
6-ابن حوقل، مصدر سابق، ص199.
7-الادريسي، مصدر سابق، ص649.
8-المقدسي، مصدر سابق، ص141-145. الأعظمي، حضارة العراق، ج5، ص318.
*ويقول عنها ياقوت الحموي : " وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام" أنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص288.
9-الادريسي، نفسه، ص660.
10-ابن حوقل، نفسه، ص194. الحارثي، مرجع سابق، ص248.

ومن حران صدر القبيط وعسل النحل والقطن والموازيين، حتى أن موازيين حران كان يضرب بها المثل[1].

كما عرفت منتجات مدينة كسكر، والتي كانت تصدر عبر أسواق بغداد، كما إشتهرت بإنتاج القمح الذي كان يزود كثيرا من الأسواق العراقية وليس بغداد فقط[2].

ومن مدينة الرحبة صدر السفرجل ومن آمد ثياب الصوف والكتان الرومية على عمل صقلي[3]، كما صدر حجر الرحى إلى العراق وبلغ ثمن الحجارة الواحدة منه خمسون دينارا[4].

ومن آمد الى بغداد صدرت المناديل والستر الرقاق والطيالس[5]، ومن دارا المحلب الذي كانت تتطيب به نساءالبادية[6].

والملاحظ هنا أن مختلف المدن الفراتية قد كانت تعج بالتجارات والتجار، وهو ما استمر على ما كان عليه في القرون السابقة، نظرا لكون هذه المدن ظلت تحتفظ بموقعها الجغرافي ومكانتها السياسية[7].

ولكن هذا لا يمنعنا من القول أنه رغم هذا الازدهار والنشاط التجاري إلا ان فترة الدراسة قد شهدت عدة حوادث أدت في الكثير من الأحيان الى تذبذب النشاط التجاري، وهذا أمر لا جدال فيه فالأكيد أن انعدام الأمن يسبب ركودا وتراجعا في النشاط التجاري، كما كان للكوارث الطبيعية التي ضربت المنطقة خلال القرن السادس والسابع للهجري أثرها الواضح على الإقتصاد بصفة عامة ،ففي سنة 529هـ/1135م عظمت الأمطار بالموصل ودامت أربعة أشهر حتى تهدم بها نحو ألفي بيت، ومات خلق كثير تحت الهدم[8]، ويذكر ابن جبير سنة 580هـ/1183م ،الغارات التي وقعت على الطرق الواقعة بين نصيبين ودنيسر وهو ما أدى الى قطع الطرق التجارية بين المدينتين[9].

كما حدثت في السنة الموالية فتنة بين الأكراد والأتراك امتدت الى العراق، فقطعت الطرق على التجار ونهبت أموال القوافل[10]، هذا وضرب زلزال سنة 623هـ/1225م الموصل وتكررت عليهم الزلزلة ثلاثين يوما[11]، وخربت القرى، واشتد الغلاء، حتى بيع رطل الشيرج بقيراطين وارتفعت الأسعار حتى بيعت بعشرات أضعاف سعرها الحقيقي[12].

1-المقدسي، مصدر سابق، ص 141، ص145.
2-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص317، ص319.
3-المقدسي، مصدر سابق، ص145.
4-الحارثي، مرجع سابق، ص250.
5-الأعظمي، مرجع سابق، ج5، ص347.
6-الحارثي، مرجع سابق، ص249.
7-سوادي، مرجع سابق، ص310.
8-الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، دول الاسلام، تح: حسن اسماعيل مروة ومحمود أرناؤوط، دار صادر، بيروت، 1999م، ط1، ج2، ص74.
9-ابن جبير، مصدر سابق، ص219.
10-ابن الأثير، مصدر سابق، الكامل، ج11، ص211.
11-الذهبي، دول الاسلام، مصدر سابق، ج2، ص133.
12 -قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص42.

وقد تحدث ابن الأثير في حوادث سنة 624هـ/1226م عن كساد تجارة الغنم فيقول: "حكى لي من يتولى بيع الغنم بالموصل أنهم باعوا خروفا لا غير وفي بعضها خمسة رؤوس، وفي بعضها ستة وأقل وأكثر ...وهذا مالم يسمع بمثله ولا رأينا في جميع أعمارنا، ولا حكي لنا مثله"[1].

هذا وقد كان للأوضاع السياسية والحروب الداخلية الأثر الواضح على الأوضاع التجارية ففي سنة 606هـ/1209م سار العادل بجيوشه ونازل سنجار وضربها بالمجانيق، فتحطمت فيها البيوت والأسواق ومات فيها من مات[2].

وفي سنة 626هـ/1229م عاثت عساكر خوارزم شاه بأعمال خلاط وعملوا فيها من التخريب والنهب مالم يفعله التتار[3].

كما كان للهجمات التي شنها المغول على الجزيرة الفراتية منذ سنة 617هـ/1220م الى سنة 656هـ/1258م الأثر البالغ على التجارة والاقتصاد[4]، ففي سنة 633هـ/1236م، جاء التتار الى اربل ثم الى الموصل فنهبوا وقتلوا[5]، وفي سنة 650هـ/1252م وصلوا إلى ميافارقين وسروج فقتلوا الخلائق وخربوا البلاد[6]. وفي سنة 658هـ/1260م حاصروا صاحب ميافارقين لمدة سنة ونصف، حتى فني أهل البلاد بالوباء والجوع، ولم يبق في البلد مائة رجل[7]، كما خرب المغول أسواق حرّان سنة 670هـ/1271م[8].

وما يبدو واضحا أنهم قد تركوا أثرهم في التخريب والنهب والسلب وهو ما أثر على المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية والتي تعد أساس التجارة في الإقليم[9].

وعليه نستطيع القول أن الأوضاع الاقتصادية قد تدهورت منذ دخول المغول إلى الجزيرة الفراتية فقد عمدوا إلى قطع الطرق التجارية، ومهاجمة القوافل التجارية وبث الخوف والرعب في قلوب التجار[10]، وبالتالي تذبذب حركة التجارة.

فتعتبر هذه الفترة فترة ركود تجاري للمنطقة بسبب الغزو المغولي[11]، حتى أن التجارة في بداية القرن السابع للهجري الثالث عشر ميلادي قد توقفت لفترات[12].

---

1 -ابن الأثير، الكامل، ج9، ص35.
2-الذهبي، دول الاسلام، ج2، ص112.
3-نفسه، ص139.
4-التكريتي محمود ياسين، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة(564-648هـ/1168-1250م)، دار الرشيد، بغداد، 1981م، ص365.
5- الذهبي، دول الاسلام، مصدر سابق، ص144.
6-نفسه، ص167.
7-نفسه، ص179.
8-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص168.
9- محمود ياسين التكريتي، مرجع سابق، ص365.
10-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص167.
11-الحارثي، مرجع سابق، ص241.
12- الغزي عامر بن حسين بن مصطفى بالي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب، 1342م، ص145.

أما عن التعامل النقدي في الإقليم فقد استخدم أتابكة الموصل والجزيرة الدنانير والدراهم والفلوس في معاملاتهم، ففي أتابكيات الموصل وسنجار وأربل والجزيرة كانت دنانيرهم ذات شكل دائري، غير أنها لم تكن ثابتة في وزنها وقطرها ولم تظهر صور على الدنانير[1].

أما أتابكة ماردين وحصن كيفا فقد ظهر على بعض دنانيرهم صور لأباطرة بيزنطيين ونقوش بيزنطية[2].

وفي العهد المغولي كان التعامل بالدينار الذهبي والدرهم الفضي والفلوس النحاسية، والظاهر أن الفضة كانت أكثر استخداما، فالوارد أن الموصل كان به مناجم للفضة منذ العهد الأتابكي[3].

أما مكاييل التجار فقد كانت المدّ والمكوك والقفيز والكارة، فالمكوك خمسة عشر رطلا، والمدّ ربعه، والكارة مائتان وأربعون رطلا والقفيزُ ربعها والمكوك رُبع القفيز[4].

ويورد ناصر خسرو من خلال رحلته أن الوزن في ميافارقين بالرطل ومقداره 4800 درهما[5].

وإشتهر عديد التجار في القرن السادس والسابع هجري نذكر من بينهم:

يوسف بن محمد بن قائد الأربلي البحراني من أهل اربل، وسعد ابن الحسن بن سلمان أبو محمد الحرّاني ابن التوراني، والتاجر أبا الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن صدقة بن الخضر الحراني وكان من أعيان التجار وأكابرهم[6] إضافة الى التاجر محمد بن داوود بن محمد بن منتاب شمس الدين الموصلي[7].

وذكر الفارقي التاجر السمسار أبا بكر محمد بن جرى وابن البهات، واتفقت مختلف المصادر على أن التجار قد كانوا ذوي مال ومياسير[8].

1-عصام عبد الرؤوف، مرجع سابق، ص243.
2-نفسه، ص244.
3-قداوي، مرجع سابق، ص184.
4-المقدسي، مصدر سابق، ص156.
5-سامي مرعي، مرجع سابق، ص52.
6-سوادي، مرجع سابق، ص314-315.
7-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص143.
8-الفارقي، مصدر سابق، ص165.

(ملحق 14): النقود[1].

1-هشام البساط، مرجع سابق، ص37، ص 46، ص91، ص92.

المبحث الرابع: التجارة الخارجية

المقصود بالتجارة الخارجية هنا تلك العلاقات التجارية القائمة بين مختلف مدن الجزيرة الفراتية والبلاد المجاورة لها أو البعيدة عنها[1].

وما يكتنف هذه العلاقات من تبادل للسلع والبضائع وهو ما يعرف بالصادرات والواردات ،فبعد أن حققت أغلب مدن الجزيرة الفراتية الاكتفاء الذاتي في كثير من البضائع والسلع، بفضل ثرواتها الزراعية خاصة إلتجأت هذه المدن إلى تصدير الفائض نحو عديد المدن الإسلامية وغير الإسلامية، فمن الموصل كانت تخرج عديد القوافل متجهة الى حلب محمّلة ببضائع الشرق وحاصلاته، وتسير عن طريق حلب إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط [2]، ومن مدينة خلاط كانت حلب تستورد سمك الطريخ[3]، ويؤكد لنا ياقوت الحموي العلاقة التجارية بين مدن الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في القرن السادس للهجري في حديثه عن جسر منبج حيث قال :" وفيها جسر تعبر عليه القوافل من حران الى الشام[4]".

كما كانت كل من قرقيسيا والرحبة وعانة وغيرها من المدن تصدر التمور إلى بلاد الشام[5]، كما صدرت رأس العين الكبريت إلى حلب إضافة الى التمور[6]، كذلك عرفت مدينة عرابان بقطنها الذي صنعت منه أفضل الملابس وصدّرت إلى بلاد الشام وغيرها[7]، كما صدرت الموصل العسل إلى مختلف البلاد الشامية[8]، وكانت الجزيرة الفراتية بمختلف مدنها تستورد من حلب صابونها المعروف بصابون حلب[9].

كما كان يرد من الشام الزيتون والأسلحة[10]، فقد كانت العلاقات بين الجزيرة الفراتية والشام نشطة، وقد إستقر مجموعة من تجار حران بدمشق سنة 667هـ/1268م وهذا تأكيد واضح على العلاقات التجارية القائمة آنذاك بين بلاد الشام ومدن الجزيرة الفراتية[11]، كما كانت أسواق ديار بكر مقصد تجار الجملة والمفرد من شتى جهات الشام[12].

1-سوادي، مرجع سابق، ص307.
2-سعيد ديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مرجع سابق، ص42.
3-خالد يوسف صالح، حلب وصلاتها التجارية مع العراق في العهد الايوبي (579-656هـ/1183-1258م)، مجلة التربية والعلم، 2009م، العدد 2، ص122.
4-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4، ص163.
5-سوادي، مرجع سابق، ص 312.
6-خالد يوسف صالح، مرجع سابق، ص123.
7-الحارثي، مرجع سابق، ص248، ص249.
8-الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر بن الجاحظ البصري، التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة والاعلاق النفيسة، ت: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1931م، ط1، ص41.
9-عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص453.
10-الجاحظ، التبصر بالتجارة، مصدر سابق، ص36.
11-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، مرجع سابق، ص169.
12-ابن جبير، مصدر سابق، ص220.

ولكن هذه العلاقات التجارية القائمة تعرضت لنوع من الشلل خاصة في العهد الإيلخاني ،حتى أنها منعت نهائيا في هذا العهد بحكم العداء بين الايلخانيين والمماليك[1]، فقد كان المغول يعمدون في غاراتهم الى نهب القوافل التجارية وتخريب أسواق المدن التي يحتلونها، ففي سنة 670هـ//1271م أغارت جماعة من المغول على مدينة حران ،فنهبت أسواقها[2]، وفي سنة 683هـ/1284م انقضّت كتيبة مملوكية على أسواق الموصل فنهبت التجّار بعد ان حاصرتهم في سوق البزازين وأفرغوهم من جميع أمتعتهم من ذهب وفضة كثيرة ثم حطموا الدكاكين وأبواب السوق، ومنها تحولوا الى باقي أسواق المدينة ينهبون ويعبثون ،حتى أنهم أسروا خمسمائة من الجواري وأفرغوا المدينة من مواشيها وخيولها [3]،وأعادوا الكرة السنة الموالية، واستهدفوا هذه المرة اربل والموصل فنهبوهما على آخرهما[4].

ولكن الاتفاقيات التجارية التي عقدت بين الايلخانيين والمماليك لعبت دورا في تنشيط الحركة التجارية ثانية، فقد عقدت اتفاقية بين الايلخان أحمد تكودار 680-683هـ/ 1224-1281م وسلطان المماليك المنصور سيف الدين قلاوون وهي اتفاقية صلح تجارية، حيث جاء على لسان أحمد تكودار ما نصه في رسالته:"...وانا أطلقنا سبيل التجار المترددين الى تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم وحرّمنا على العساكر التعرض لهم في مصادرهم وموارهم..."[5].

وبموجب هذه الاتفاقية فتحت الطرق مع بلاد الشام، وسافر التجار من الموصل الى سورية، ومن سورية ومصر الى بلاد التتر دون أي أذى[6].

كما استفادت العلاقات التجارية بين المدن الفراتية وبلاد الشام من الاتفاقية بين سلطان المماليك وبين ليفون ملك الأرمن سنة 684هـ/1285م وقد كان نصها: «...التجّار المترددين من الجهتين لا يحدث عليهم حادث ولا تجدد عليهم مظلمة... ويسلك بهم منهج العدل والانصاف...»، وعلى أنه «...من دخل بلد الأرمن من بلد الروم وبلد المشرق والمغرب والعراق وبغداد والعجم وسائر البلاد قاصدا البلاد السلطانية من التجار والرعية... يسمح لهم بالحضور الى البلاد السلطانية...» [7]*.

1- اليوزبكي، موسوعة الموصل الحضارية، مرجع سابق، ج2، ص283.
2-علاء محمود قداوي، تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والاق قوينلو (814-914هـ/1411-1508م)، المنهل، 2012م، ص24.
3-نفسه، ص24.
4-نفسه، ص25.
5-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد المغول الإيلخانية، مرجع سابق، ص170.
6-نفسه، ص170.
7-عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص451.
*وعليه يمكننا ان نميز مرحلتين في تاريخ العلاقات التجارية بين العراق وبلاد الشام ومصر، انتعشت خلالها تجارة الموصل الخارجية، تمتد الحقبة الأولى من 680-683هـ والحقبة الثانية تمتد من 733-736هـ لمعرفة المزيد حول الاتفاقيات التجارية في هاتين المرحلتين. انظر: اليوزبكي، موسوعة الموصل الحضارية، مرجع سابق، ج2، ص238.

وعليه فقد كانت الموصل مركزا تجاريا مهما في التجارة الخارجية، ففيها كانت تلتقي طرق التجارة من أذربيجان ومن الشام، ومن أرمينية[1].

أما ياقوت الحموي فيعتبرها: «باب العراق ومفتاح خراسان ورأس طريق أذربيجان»[2].

كما كانت السفن تصل الى الموصل من أرمينية وأذربيجان مشحونة بالبضائع[3]، فقد كانت أذربيجان تمدها بالأسلحة والفرش والبسط[4]، وأما ارمينية فإن وجود طريق تجاري نشط ربط مدن الجزيرة الفراتية بها [5]وقد ذكرناه سابقا ساهم في تنشيط حركة التجارة.

فقد كانت أرمينية تمد مدن الجزيرة الفراتية بالسجاد والستائر والصوف والثياب الصوفية وغيرها[6]، كما لعبت الطرق التجارية الرئيسية بين العراق وبلاد فارس وأرمينية والروم والشام والتي تمر عبر مدن الجزيرة الفراتية دورا في مرور بضائع هذه البلدان بالمدن الفراتية ودخولها أسواقها[7].

ولم تقتصر العلاقات التجارية الخارجية للمدن الفراتية على بلاد الشام وأرمينية وانما نشطت التجارة مع البلاد المصرية، فقد كانت القوافل تجلب السلع والبضائع المختلفة الى بلاد الجزيرة الفراتية[8]، فقد كان يرد من مصر: العنبر والزعفران والسيوف والبغال والحمير والمسابح والزبرجد والقراطيس[9]، كما حمل تجار مصر للمدن الفراتية الكثير من منسوجات الصعيد خاصة المنسوجات الصوفية التي اشتهرت بها مدينة أسيوط[10]، كما حملت الأثواب الدمياطية من مدينة دمياط في مصر[11].

ومن حرّان كانت تخرج القوافل التجارية لتموّل مصر بالسكّر[12] ،كما كان الحرير الموصلي من الأقمشة والمنسوجات التي تجد إقبالا شديدا في مصر خاصة لدى الطبقة الحاكمة والمترفة[13]، كما اشتهرت مدينة الموصل بالشاش الذي كان يصدّر إلى مختلف البلدان سواءا داخل العالم الإسلامي أو خارجه، حيث كان يصدر منه الى الصين وعرف في مصر وسوريا وشمال افريقيا، واتخذت منه العمائم والطاقيات وكان يلفُّ حول القلانس[14]، ومن دلائل نشاط

1-ابن حوقل، مصدر سابق، ص215.
2-ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج8، ص195.
3-الجاحظ، التبصر بالتجارة، مصدر سابق، ص35.
4-الاعظمي، مرجع سابق، ج5، ص347.
5-نفسه، ص347.
6-الجاحظ، مصدر سابق، ص24.
7-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد المغول الإيلخانية، مرجع سابق، ص169.
8-سوادي، مرجع سابق، ص312.
9-الجاحظ، التبصر بالتجارة، مصدر سابق، ص27.
10-محمد احمد إبراهيم، تطور الملابس في المجتمع المصري من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، ص200.
11-سوادي، مرجع سابق، ص312.
12-نفسه، ص312.
13-محمد احمد إبراهيم، مرجع سابق، ص206.
14-الاعظمي، مرجع سابق، ج9، ص274.

الحركة التجارية بين مدن الجزيرة الفراتية والبلاد المصرية ما ورد عن وجود ودائع كثيرة لتجار من أهل حرّان عند قاضي قضاة الديار المصرية سنة 670هـ/1271م[1].

وبعد توحيد مناطق إقليم الجزيرة الفراتية وبلاد الشام ومصر تحت نفوذ صلاح الدين نشطت الحركة التجارية وعبرت السلع التجارية من العراق وفارس وجنوب آسيا كالهند وشرق إفريقيا ثم إلى أوروبا عن طريق البحر[2]، وقد نشطت التجارة بالجزيرة مع مصر ما بين سنتي 680-683هـ /1281-1284م، عقب اتفاقية الصلح انفة الذكر[3].

وكانت البندقية من المدن الإيطالية التي تشتري النسيج الموصلي بمختلف أنواعه عن طريق تجارها فكانت تخرج من الموصل يوميا عشرات القوافل تحمل حاصلات البلد وصناعاتها وما وصلها من بضائع الشرق وطرفه فتسير على سواحل البحر الأبيض المتوسط، فيأخذها التجار البنادقة والجنويون وأهل مرسيليا ويوزعونها الى أقطار أوروبا[4].

أما مع أوروبا فقد كانت التحف الفخارية المزخرفة والمعدنية المطعمة بالمعادن الثمينة والمنسوجات القطنية والحريرية المطرزة بالذهب والفضة كانت تصدر الى أوروبا [5]،وهي المعروفة عند الأوروبيين باسم الموسلين أو الموصلي نسبة للموصل [6]،وبالعكس فالسلع التي كانت ترد من غرب أوروبا الى المدن الفراتية لا تأثير لها ،أما الواردات القادمة من اسكندنافيا عن طريق روسيا فهي ذات أهمية[7]، رغم أنه لا يتوفر لدينا أي معلومات عن هوية هذه البضائع فإضافة الى ما تركه الجغرافيون المسلمون من روايات عن هذه العلاقات التجارية ،فهذه التجارات قد تركت ورائها وثائق مهمة وأساسية انطبعت على العملات الإسلامية والتي كان معظمها من دروسك في وسط آسيا وكذلك اسكندنافيا وبالذات في الليقيات السويدية[8].

أما من شرق أوروبا فقد كان يستورد الفرو والدروع والسيوف[9]، فقد كانت تجارة الأسلحة تشهد نموا متواصلا، حيث أصبحت السيوف سلعة تصدير ذات أهمية خاصة السيوف الفرنجية frankish[10]، كما استوردت أوروبا نسيج البوكاسيني المصنوع في ماردين[11].

1-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية، ص170.
2-الحارثي، مرجع سابق، ص247.
3-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية، مرجع سابق، ص170.
4-سعيد ديوه جي، الموصل في العهد الأتابكي، مرجع سابق ص47.
5-الحارثي، مرجع سابق، ص247.
6-اليوزبكي، موسوعة الموصل الحضارية، مرجع سابق، ج3، ص397.
7-برنارد لويس، اكتشاف المسلمين لأوروبا، تر: ماهر عبد القادر محمد، مكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996م، ط1.
8- نفسه، ص214.
9-صفا قاسم عبد اللطيف، مرجع سابق، ص90.
10-برنارد لويس، مرجع سابق، ص220.
11-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد المغول الإيلخانية، مرجع سابق، ص173.

وقد كانت الرسوم التجارية في عهد صلاح الدين تجبى بإنتظام من التجّار الأوروبيين بكل أنواعه 10% أما السبائك الذهبية فمرسومها 6% ورسوم السبائك الفضية والنقود 4% أما الفراء الفاخر والأحجار الكريمة فلم تعرض عليها رسوم[1].

أما فيما يخص التجارة مع بلاد الروم فقد كانت مدن الجزيرة تستورد الأغنام ولحومها وشحومها، وكل ما يترتب عنها من ألبان وسمن وجبن[2]، وكان يجلب منها كذلك أواني الفضة والذهب والعقاقير والديباج الرومي والثياب الكتانية والأرز والبسط[3]، والرقيق والجواري خاصة من مدينة ملطية[4]، وبعض المصنوعات الحديدية والمواد الكيميائية وبعض الأدوية والأعشاب[5]، ولعل جلب الرقيق من بلاد الروم وهو ما يعلل شهرة الموصل في تجارة الرقيق والعبيد وكثرته في أسواقها.

كما صدّر الزجاج الذي عرفت به ماردين إلى بلاد الروم [6]، ويورد لنا الفارقي في تاريخه حادثة تدل على العلاقات التجارية الفراتية البيزنطية فيقول في معرض حديثه عن مدينة ميافارقين :«وكان بها -يقصد ميافارقين- رجل سمسار يسمى ابن البهات فوصل قافلة كان معها خام كثير واشترى جميعه منهم، واتفق أن وقت الظهر وصل قوم فطلبوا خاما فباعهم من يومه الخام جميعا وقبض ثمنه فربح خمسمائة دينار أرما ونسية *»[7] وهي عملة بيزنطية وهذا دليل كاف على أن التجار كانوا بيزنطيين، أما من ايران فقد كان يردها البسط والطنافس والسجاد والثياب الكتانية والقلانس والزمرد [8]،كما أن التجار الموصليون يغدون إلى تبريز للتجارة بيعا وشراء، مما كان يحقق لهم ثروات ضخمة[9].

كما كان الذهب والفضة يستوردون من بلاد فارس لغرض سك النقود، بسبب قله هاذين المعدنين في هذه المنطقة[10]، ومن الأهواز كان يستورد السكر والديباج[11] كما كانت العلاقات مع الهند نشطة حيث كان يرد للجزيرة الفراتية منها: العود الهندي والعاج والقرنفل والأحجار الكريمة والياقوت والعقاقير والكافور والعنب والفيلة والرماح[12]، كما كان يجلب منها أيضا

1-ل. أ. سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك في مصر، تر: حسن بيومي، منتدى لؤلؤة المشرق العربي، مصر، 1998م، ص237، ص238.
2- قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد المغول الإيلخانية، ص171.
3-ابن حوقل، مصدر سابق، ص246.
4-الجاحظ، التبصر بالتجارة، مصدر سابق، ص36.
5-صفا قاسم عبد اللطيف، مرجع سابق، ص90.
6-الحارثي، مرجع سابق، ص248.
*ارماونسية: لا يوجد في السكة الإسلامية دينار بهذا الاسم وانما هو دينار بيزنطي ينسب الى الامبراطور رومانوس أحد اباطرة الدولة البيزنطية. للمزيد انظر: الفارقي، مصدر سابق، ص166.
7-نفسه، ص165، ص166.
8-الجاحظ، التبصر بالتجارة، مصدر سابق، ص29، ص32.
9-اليوزبكي، موسوعة الموصل، مرجع سابق، ج2، ص238.
10-عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص453.
11-الجاحظ، التبصر بالتجارة، مصدر سابق، ص36.
12-صفا قاسم عبد اللطيف، مرجع سابق، ص90.

جلود النمور والياقوت الأحمر وجوز الهند[1] إضافة إلى السيوف القلاعية وهي الهندية القديمة من مدينة القلعة* بالهند[2].

أما مع الصين فقد كانت أنواع السجاد المختلفة والبسط، وكذلك الستور والمسوح الموصلية كانت من البضائع المطلوبة بالصين[3]، وكان يجلب منها الكاغد والمداد والثياب الحريرية والمسك والحرير والديباج والجواري والخصيان والسروج وأواني الذهب والفضة[4].

هذا وكان الرعاة من الأتراك والأكراد يتنقلون خلال الربيع الى أسواق الجزيرة الفراتية لبيع أغنامهم ، وهو ما كان يساعد في انخفاض أسعار اللحم في هذا الموسم[5]، وقد كان في الموصل رستاق المرج وفيه مدينة تعرف بسوق الأحد فيها سوق مشهورة يحضرها الأكراد لمواعيد معروفة[6]، كما كان يستورد الذهب والعاج والخشب من شرق افريقيا، والفرو والدروع والسيوف من الترك[7]، ولعل الدليل على أن الذهب كان من السلع المستوردة هي تلك الحادثة التي وقعت سنة 685هـ/1286م عندما قدّم التجار المسلمين والنصارى إلى الموصل بأحمالهم من الذهب وفي قيسارية المدينة نُهبت جميع جمالهم عندما هاجم الموصل جند الشام[8].

كما كان للغارات التي شنها المغول على الجزيرة الفراتية الأثر الواضح في شل الحركة التجارية في كثير من الأحيان، وقد تعرض التجار للكثير من الأذى وتعرضوا للمطاردة والقتل، فقد قام المغول بقتل ستمائة تاجر لدى محاولتهم مغادرة ماردين وهذا مثال على ما تعرّض له التجّار[9].

ولكن رغم كل الظروف التي مرت بها الجزيرة الفراتية خاصة في القرن السابع للهجري الا أن هذا لم يمنع ان اشتهر عديد التجار بتجارتهم الخارجية من أمثال : القاسم بن أبي بكر القاسم الأربلي من أعيان التجّار تردد من اربل بتجارته الى مصر وبلاد العجم وخوارزم[10]، ويوسف بن محمد بن قائد الإربلي البحرايني، من أهل إربل صنعته التجارة من البحرين، حيث كان يقيم بها مدة لتحصيل اللآلئ من المغاصات[11]، علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الصالحي الذي كان يتعاطى السفر بغرض التجارة في بلاد كثيرة كدمشق ومصر وبغداد[12]، إضافة إلى الحسن بن الحسين بن يوسف الموصلي

1-الجاحظ، التبصر بالتجارة، مصدر سابق، ص26.
*مدينة تقع اول بلاد الهند من جهة الصين، وتنتهي اليها المراتب التجارية الواصلة الى الهند، وتتميز بتوفر معدن الرصاص، ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج2، ص13.
2-سوادي، مرجع سابق، ص311.
3-صفا قاسم عبد اللطيف، مرجع سابق، ص89.
4-الجاحظ، التبصر بالتجارة، مصدر سابق، ص36.
5-ابن الاثير، الكامل، مصدر سابق، ج12، ص195.
6-الادريسي، نزهة المشتاق، مصدر سابق، مجلد1، ص659.
7-صفا قاسم عبد اللطيف، مرجع سابق، ص90.
8-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية، مرجع سابق، ص184.
9-عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص449.
10-قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية، مرجع سابق، 174.
11-سوادي، مرجع سابق، ص315.
12-سوادي، مرجع سابق، ص316.

(624-710 هـ/1227-1310م) الذي تميز بصناعة النقش وخياطة الزركش وقد هاجر إلى تبريز ومارس حرفته فيها، ويوسف بن عبد الكريم بن هبيل الموصلي الذي تميز بتطريز نسيج الحرير بخيوط الذهب ، وقد هاجر هو الآخر لممارسة مهنته في بلاد اليمن[1] .

ولا شك أن التجار المسلمين لم يحملوا معهم أشياء مادية من بضائع وسلع فقط، بل حملوا معهم أشياء لا تقدر بثمن، تمثلت في كل رحلاتهم التجارية، وعن الأماكن التي سافروا إليها وتعاملوا مع سكانها، فقد رجعوا إلينا بصور عديدة ومختلفة عن عادات وتقاليد وأنماط عيش تلك الشعوب شملت كل ما رأوه أو سمعوه، وقد ساهمت معلوماتهم في كثير من الأحيان في معرفة تلك البلدان معرفة دقيقة.

المنطقة	الصادرات
الجزيرة بشكل عام	القمح والشعير، العسل اللوزي، الخيول العادية، الخمور
سروج	الميس نوع من الخشب، العنب والزبيب
دارا	المحلب نوع من الطيوب
الموصل	الحبوب، العسل والتمور، الفحم، الشحوم، الجبن، المن، السماق، حب الرمان، القير، الحديد، الأساطل، السكاكين، النشاب، الطريخ، السلاسل، الفواكه، الستور، المسوح، الدراج، السماني، الاخشاب من جبل شعران ومعدن الحديد من حصون هرور
سعرت	الخمور خاصة من دير عمر أحوبشا
نصيبين	الرصاص، ماء الورد، الخمر من دير الزعفران، شاه بلوط، الفواكه المقددة، الموازين، الدوابات، الكواذيم
آمد	الثياب الموشية والمناديل، المقارم، الرقاق، الطيالسة من الصوف، الطريخ
ماردين	الزجاج والأكسية الصوفية
ميافارقين	المناديل العراض، السينيات
سنجار	حب الرمان، العنب الناشف، فرك اللوز، القصب والسماق
الرقة	الصابون، الزيت والأقلام
حرّان	عسل النحل، القطن والموازين
جزيرة ابن عمر	الجوز، اللوز، السمن، الخيل والجياد
بلد	اللبان والقير
الرحبة	السفرجل والكمثرى
هيت	النخيل والقير

ملحق 15: الصادرات[2]

1-اليوزبكي، موسوعة الموصل الحضارية، مرجع سابق، ص237.
2-هالا عبد الحميد احمد الوريكات، مرجع سابق، ص147، ص148.

البلد	الواردات
مصر	الأسلحة، القراطيس، من المعدن: الزبرجد
بلاد الشام	زيت الزيتون والأسلحة
بلاد الروم	الرقيق، الرق وخاصة من ملطية بعد ضمها للروم في مطلع القرن الرابع الهجري
أرمينية	الطريخ، البورق، خشب البناء والأسلحة
قومس	الفؤوس، الأسماح، الحير والمظلة
أذربيجان	الأسلحة، اللبود، البراذغ، الفرش والبسط
الأهواز	المسكر، الديباج، الخزر، الصناجات والرقاصات، أنواع التمر والدبس

(ملحق 16): الواردات [1]

1- هالا عبد الحميد احمد الوريكات، مرجع سابق، ص 149.

الخاتمة

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع البحث والمتمثل في النشاط الإقتصادي في إقليم الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس والسابع هجري تبين لنا أن:

- ❖ الموقع الجغرافي قد أعطى للجزيرة أهمية إقتصادية استثنائية لتوسطها بين الشرق والغرب، حيث كانت طرق التجارة العالمية من جميع الإتجاهات تمر بها سالكة الضفة الشرقية لنهر الفرات.
- ❖ تميز الإقليم بالموارد الطبيعية المتعددة من أراض صالحة للزراعة ومراع واسعة وثروة حيوانية معتبرة، ومصادر للمياه ومناخ ملائم، كل هذه الموارد ساعدت على تكوين قوة إقتصادية متكاملة للمنطقة.
- ❖ تنوع الأسواق في مدن الجزيرة دليل واضح على تعدد البضائع والأصناف.
- ❖ الإعتناء بالحيوانات وتربيتها أدى إلى سد حاجيات الإقليم من اللحوم والحليب ومشتقاته، والمواد الأساسية للصناعات الصوفية والجلدية من ثياب وأحذية ومستلزمات الخيول وغيرها ...
- ❖ إختلفت أساليب منح الإقطاع في الإقليم بين الملكية الدائمة والملكية لفترة محدودة ولكل أسلوب قواعده الخاصة. كما اتخذ سلاطين الدولة الزنكية والأيوبية من الإقطاع وسيلة لضمان ولاء الأمراء والجنود وقد عرفت الجزيرة الفراتية إلى جانب الإقطاع الإسلامي الإقطاع الغربي الذي إنتقل مع الصليبيين من أوروبا.
- ❖ تنوعت الصناعات في إقليم الجزيرة الفراتية وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى توفر عديد المعادن كالنحاس والقير والحديد وغيرها.
- ❖ لعب إهتمام الأمراء والحكام المختلفين على مدن الجزيرة الفراتية بتنمية موارد الثروة في المنطقة دورا في تنمية الصناعة وتطورها.
- ❖ عرفت المنطقة إزدهارا في الأنشطة الحرفية والفنية ويظهر هذا من خلال مخلفاتهم الأثرية.
- ❖ إشتهرت عديد من المدن الفراتية بمركزها التجاري كالموصل وحران ونصيبين ودورها في التجارة الخارجية، واختلفت النقود والموازين بين منطقة وأخرى وبين عهد وآخر.
- ❖ شهدت الحركة التجارية في العهد الزنكي والأيوبي رواجا من خلال إنشاء الهياكل المرتبطة بالنشاط التجاري كالفنادق والخانات وتعيين أمناء للإشراف على الأسواق وتوفير الأمن بمعاقبة قطاع الطرق واللصوص عقابا قاسيا.
- ❖ أدت الأوضاع السياسية والصراعات الداخلية ما بين القرنين السادس والسابع للهجري إلى تدهور النشاط الإقتصادي من خلال تخريب الأراضي الصالحة للزراعة وبث الرعب وهجرة التجار وأصحاب الصنائع.
- ❖ إن الغزو المغولي للجزيرة سنة 656هـ/1258م وهجماته المتكررة عليها قبل ذلك وما صاحبها من أعمال السلب والنهب كان له الأثر البالغ على إقتصاد المنطقة زراعيا وصناعيا وتجاريا.

- خلّفت الكوارث الطبيعية والأوبئة التي حدثت خلال القرنين 6 و7هـ آثارا إقتصادية مدمرة في كثير من الأحيان وتعطلت الحياة الزراعية التي هي أساس الصناعة والتجارة في المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

1. القرآن الكريم
2. أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، (ت732هـ)، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.
3. أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت183هـ)، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979م.
4. الادريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن إدريس الحموي الحسيني، (ت559هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، المجلد الأول، 2002م.
5. الأزدي، أبي زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم، (ت334هـ)، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، القاهرة، 1967م.
6. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، (ت346هـ)، مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر الجيمي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،2004م.
7. الأصفهاني عماد الدين محمد بن محمد الكاتب، (ت356هـ)، الفتح القسي في الفتح المقدسي، المطبعة الخيرية، مصرن 1322ه.
8. ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي، (ت739هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البيجاري، دار الجيل، بيروت،1992م، المجلد الأول.
9. ابن أبي أصبيعة، موفق الدين بن العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، (ت686هـ)، عيون الأنباء في طبقة الأطباء، دار المعارف، 1996م، ج1.
10. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني، (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1977م، ط1.
    - ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، دار الكتب، القاهرة.
11. ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت597هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج17.
12. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي، (ت709هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، 1960م.
13. ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جوادة العقبلي كمال الدين (ت 660هـ)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، ط1.
14. ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، (ت340هـ)، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1988م،
    - ابن الفقيه: أخبار البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1996م، ط1.

15. ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، (ت723هـ)، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ط1.
16. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، بن محمد اللواتي، (ت779هـ)، رحلة ابن بطوطة "تحفة النظام في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م.
17. ابن تغرى بردي، يوسف جمال الدين أبو المحاسن، (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في معرفة ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، 1956م، ج1.
18. ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، (614هـ)، رحلة بن جبير، دار صادر، بيروت، 1959م
19. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، (ت367هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.
20. ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت808هـ)، المقدمة، دار يعرب، ط1، ج1.
21. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج3.
22. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر(ت306هـ)، الأعلاق النفيسة،1861م، المجلد7 .
23. ابن سباهي زاده، محمد بن علي البروستوي، (ت997هـ)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان، تحقيق: المهدي عبد الروانية، دار الغرب الإسلامي،2006م، ط1.
24. ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى العنسي، (ت685هـ)، بسط الأرض في الطول والعرض، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958.
25. ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم، (ت684هـ)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1991م، ج3.
26. ابن العبري، مخطوطة تاريخ الأزمنة، (ت685هـ)، ترجمة شادية توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007، ط1.
27. ابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم، (ت276ه)، المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، دار المعارف، ط4.
28. ابن قيم جوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (تـ 751هـ)، تحقيق: رابح محمد كريم، دار الهلال، لبنان، 1983م، ج1.
29. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر، (ت774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، بيروت، 1987م.
30. ابن ماجه، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت273هـ)، سنن ابن ماجه، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، ج2.
31. ابن مسكويه، أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، (ت421هـ)، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج5.
32. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (تـ 697هـ) مخرج الكروب في أخبار بني أيوب، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1953م.

33. ابن يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، (ت307هـ)، مسند أبي يعلى الموصلي، دار التأصيل، 1989، ج12.
34. ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل (تـ 665هـ)، تراجم رجال القرنين 6 و7 هجري، القاهرة، 1947م.

- ابو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القاهرة، 1378هـ.

35. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ)، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1906، ط1.
36. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (تـ 429هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار المعارف، القاهرة، 1908م.
37. الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن جاحظ البصري، (ت255هـ)، التبصر بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان، من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1931م، ط1.
- الجاحظ، البخلاء، تحقيق: محمد علي ابو العباس، دار الطلائع، مصر، 1937.
38. الحميري، محمد بن عبد المنعم (تـ 900هـ)، الروض المعطار، في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة بيروت، بيروت، 1948م.
39. الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري، (ت241هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: الأرناؤوط، ج4.
40. العمري، ياسين بن خير الله الخطيب، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل، 1955م.
41. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت748هـ)، حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: خضر عباس محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م، ط1.

-الذهبي، المختار من تاريخ ابن الجزري، المسمى حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: خضير عباس، محمد خليفة المنشداوي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1988م، ط1.

-الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، ج12، 2003م.

-الذهبي، دول الإسلام، تحقيق وتقديم، حسن إسماعيل مروة، ومحمود ارناؤوط، دار صادر، بيروت، 1999م، ط1، ج2.

- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 1986م، ط 11، ج4.
42. الرواندي، محمد بن علي بن سليمان، (ت643هـ)، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية. ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، عبد النعيم محمد حسنين، فؤاد عبد المعطى الصياد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005م.

43. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (ت771هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، فيصل عيسى البابي، 1964م، ج3.
44. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، دار الكتب العلمية، لبنان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، 2012، ط1، ج2.
45. الشابشتي، أبي الحسن علي بن محمد، (ت390هـ)، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، مكتبة المثنى، 1966م.
46. شيخ الربوة، شمس الدين محمد بن أبي طالب دمشقي، (ت727هـ)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، تصحيح: أغشطش بن يحيى، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، بطرسبرغ، 1965م.
47. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت764هـ)، نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية، مصر،1934م.
48. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، (ت310هـ)، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة عز الدين، بيروت،1990م، ط1.
49. الطرزي، أبي الفتح ناصر بن عبد السيد (ت616هـ)، المغرب في ترتيب المعرب، بيروت.
50. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، (ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الوجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1415هـ، ط1، ج4.

-العسقلاني، ترجمة شيخ الاسلام بن تيمية، دار ابن حزم، تحقيق: أبو عبد الرحمن سعيد معاعشة، لبنان، 1998م، ط1.

51. قدامة بن جعفر، (ت337هـ)، نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م.
52. القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان، مؤسسة الرسالة، 2006م، ج12.
53. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي، (ت682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ج1.
54. القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي، (ت821هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1913،4م.
55. الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، (ت450هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.
56. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، 1965م، ط1، ج3.
57. المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، (ت168هـ)، تحقيق: أحمد شاكر أبو الأشبال، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، المجلد 1.

58. المقدسي، البشاري شمس الدين أبي عبد الله محمد، (ت380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة،1991م، ط3.
59. النويري، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين، (ت733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتاب، ج22.
60. الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، (ت207هـ)، تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق، تحقيق: عبد العزيز فياض حرفوش، دار البشائر، دمشق، 1996م.
61. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله، (ت623هـ)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ج3، ج5.
62. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن واضع (تـ 284هـ)، البلدان، منشورات محمد أمين الفناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م.
63. صابي الهلال، ابو حسين هلال بن محمد بن ابراهيم، (ت448هـ)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، ج2.

المراجع

1. إبراهيم أيوب، التاريخ السياسي والحضاري العالمي، بيروت، لبنان، 1989م، ط1.
2. إبراهيم علي طرفان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م.
3. أحمد أمين سليم، تاريخ العراق، إيران، أسيا الصغرى، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
4. أحمد حمدي، الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، دار الفكر العربي، مصر، 1950م.
5. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، دار الكتاب العربي، بيرون لبنان، ج2.
6. أسقر محمد، شعراء الجزيرة الفراتية في العصر العباسي، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الانسانية، 1996م.
7. برنارد لويس، اكتشاف المسلمين لأوروبا، ترجمة: ماهر عبد القادر محمد، مكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996م، ط1.
8. بشرى جعفر أحمد، قبيلة تغلب ودورها في تاريخ العرب قبل الإسلام وصدر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.
9. جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م.
10. جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين (656-732ه/1258-1335م) مطبعة العاني، 1968م.
11. جميلي رشيد عبد الله، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين، بيروت، 1975م.
12. جودة حسنين جودة وفتحي محمد أبو عيانة، قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

13. حسين أمين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مطبعة الإرشاد، 1965م.
14. حسين علي المسري، تجارة العراق في العصر العباسي، جامعة الكويت، 1402م.
15. خالدي فاضل، الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس هجري، بغداد، 1969م.
16. الديلمي محمد حسن سهيل، الإقطاع في الدولة العباسية (447-656ه)، مكتبة المهتدين، العراق، 2010م، ط1.
17. سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.
18. سعيد الديوه جي، تجارة الموصل في مختلف العصور،الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2014م، ط1.
- أعلام الصناع المواصلة، مطبعة الجمهور، الموصل، 1970م.
- الموصل في العهد الاتابكي، مطبعة شفيق، بغداد، 1958م
- تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1982م، ج1.
- تجارة الموصل في مختلف العصور، دار ابن الاثير، الموصل، العراق،2013م، ط1.
19. سليمان صائغ الموصلي، تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، مصر، 1923م، ج1.
20. السرياني، تاريخ مار ميخائيل الكبير، تعريب: مارغريغوريس، صليبا شمعون، ماردين، 1996م، ط1، ج3.
21. سوادي عبد محمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس للهجري الثاني عشر ميلادي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1979م.
22. ل .أ سيمينوفا، صلاح الدين والمماليك في مصر، ترجمة: حسن بيومي، منتدى لؤلؤة المشرق العربي، مصر، 1988م.
23. صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، منشورات الشريف الرضي، 1417م، ط1.
24. صلاح حسن محمد الطائي، أثر الشام الحضاري في مصر في العصر الأيوبي، المنهل، 2014م.
25. صلاح حسين العبيدي، التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1970م.
26. عباس الغزاوي، تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، الصالحية، بغداد، 1957م.
27. عبد الحليم الكعبي، الجزيرة الفراتية وديارها العربية، دار صفحات للدراسات والنشر، سوريا، دمشق، 2009م.
28. عبد الرحمن حميدة، جغرافية الوطن العربي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
29. عبد الرزاق الحسني، موجز تاريخ البلدان العراقية، مطبعة العرفان، 1930، ط1.

30. عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007م، ط1، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع هجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001م.
31. عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها، مطبعة الهلال، مصر، 1913م.
32. عصام الدين عبد الرؤوف بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، الكويت.

- علاء محمود قداوي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الايلخانية، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2014م.

33. علاء محمود قداوي، تاريخ العراق في عهدي القرة قوينلو والآق قوينلو (814-914هـ/ 1411-1508م)، المنهل، 2012م.
34. عماد الدين خليل، الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، لبنات، 1980م.
35. عواد مجيد الأعظمي (تأليف مجموعة من الباحثين)، حضارة العراق، بغداد، 1975م، ج5.
36. غزي، كامل بن حسين بن مصطفى بالي الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب، 1342ه.
37. غسان الشيخ الخفاجي، السيرة الذهبية، دار مؤسسة رسلان، سوريا، دمشق، 2019م، ج1.
38. فاروق فوزي، قراءات ومراجعات في التاريخ الإسلامي، المنهل، 2008م.
39. فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الاسلامية، ترجمة: كامل الغسلي، منشورات الجامعة الاردنية، الأردن، 1980م.
40. فتحي عثمان، الحدود الاسلامية البيزنطية، القاهرة، 1966م.
41. لي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م.
42. محمد أحمد إبراهيم، تطور الملابس في المجتمع المصري من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1.
43. محمد بن يوسف غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر منذ تأسيسها حتى الفتح العثماني، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990م، ط1.
44. محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، 1393ه، ط2.
45. محمد حسنين علي، محاسنة الفتح الإسلامي في العراق في صدر الإسلام، دار الكتب الثقافي، 2011.
46. محمد سعيد رسلان، حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة المنار، الجيزة، 2002م، ط1.
47. محمود مصطفى حلاوي، النظم الإسلامية في عصر صدر الإسلام، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان، 2016.

48. محمود ياسين التكريتي، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة (564-648ه/1168-1250م)، دار الرشيد، بغداد، 1984م.
49. الياهو شتراوس آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، 1985.
50. الزبيدي، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، دار العاصمة للنشر، الرياض، 1987م، ج2.

المقالات

1. آيات محمد عبد العزيز محمد خرابة، فن التجليد في العصر الاسلامي والاستفادة منه في عمل أغلفة بالورق المجسم، كلية التربية، مجلد33، ج2، العدد9 ، 2017م.
2. ايمان عبد الجبار محمود اللهيبي، التجارة الداخلية والخارجية في الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي(132-656ه/749-1258م)، العدد 57، 2017م.
3. خالد يوسف صالح، الصناعة في العراق في العصر العباسي الأخير، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مجلد 9، العدد 3، الموصل، 2009م.
- خالد يوسف صالح، حلب وصلاتها التجارية مع العراق في العهد الأيوبي(579-656ه/1183-1258م)، مجلة التربية والعلم، المجلد 16، العدد2، 2009م.
4. السجاوي، حنان عبد الخالق علي، ابن النمش (تـ 620ه/1223م)، وتراجم موصلية في كتابه تاريخ دنسير، مركز دراسات الموصل، جامعة الموصل، العدد 49، 2018.
5. سامي مرعي، صورة الجزيرة الفراتية وبلاد الشام في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي كما قدمها ناصر خسرو في رحلته ،مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ،سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد3 ،العدد 4، 2016م.
6. سوسن بهجت يونس، الصناعة وأثرها في بلاد المشرق الاسلامي خلال العصر العباسي، مجلة كلية العلوم الاسلامية، بغداد، العدد 3، 2002م.
7. صبحي الصالح، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها.
8. عامر بلو إسماعيل، الأكلاك في الموصل من خلال كتب الرحلات ابان العهد العثماني، مركز دراسات موصلية، 2009، العدد 26.
9. علي علي السكري، المعادن عند العرب، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج42، 1948.
10. غزوة شهاب أحمد مصطفى، الأهمية الاقتصادية الاقليم الجزيرة الفراتية خلال العصور الاسلامية الأولى، جامعة سامراء، كلية التربية، قسم التاريخ، مجلة الجامعة العراقية، العدد 46، ج2.
- غزوة شهاب أحمد مصطفى، الجزيرة الفراتية خلال العصور الاسلامية الأولى، مجلة الجامعة العراقية، العدد 46، ج2.

11. فؤاد عبد الرحيم، الدويكات، الأحوال الزراعية في اقليم الجزيرة الفراتية في العصر الأموي، (41-660هـ/132-749م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مجلد7، العدد 1، 2013م.
12. محمد قويسفر، مفاهيم جغرافية عند المسلمين في العصر الوسيط، دورية كان التاريخية، العدد 13، 2011م.
13. مها سعيد حميد، الوراقون في الموصل خلال العصور العباسية من القرن الرابع حتى نهاية القرن السابع الهجري، دراسات موصلية، العدد46 ، 2017م،
- مها سعيد حميد، الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي، مجلة دراسات موصلية، العدد 33، 2011م.
14. نهى فضل الله حميد، إمارة ميافارقين الأيوبية، ووقوفها في وجه الغزو المغولي(627هـ-658ه/1230م-1260م)، قسم التاريخ، جامعة دمشق، مجلة دراسات تاريخية، العدد 125، العدد 126، 2014م.

القواميس

1. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ج5.
2. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4.
3. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان، 2007م.
4. عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، مؤسسة الغني للنشر، ط1
5. فيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: خليل مأمون شيحا، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 2005م.
6. محمد أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، المجلد3 ، 2008م.
7. منجد في الأعلام واللغة، دار المشرق، بيروت، ط27.

الموسوعات

1. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي، نقلها أبو سعيد المصري، ج11.
2. موسوعة الموصل الحضارية، مكتبة الفكر الجديد، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ط1، 1992م.

الرسائل الجامعية

1. شيماء محمد سعيد أبو الغيط، المقرنصات دراسة تحليلية تطبيقية، جامعة حلوان، القاهرة، 2009، رسالة لنيل درجة الماجستير.
2. صفاء قاسم عبد اللطيف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العراق ابان عهد السلاجقة(447-590ه/1055-1169م)، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة النيليين، قسم التاريخ، جمهورية السودان، 2017م.

3. عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي، الأوضاع الحضارية في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، دار العربية للموسوعات، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، ط1، بيروت، لبنان، 2001م، 1427ه، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه.
4. عمر عماد الدين، إمارة بني أرتق، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1968م.
5. هالا عبد الحميد ابراهيم، الوريكات، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجزيرة الفراتية في القرنين الرابع والخامس هجريين، كليات الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، 2001م.

RESUME

This study dealt with the economic conditions of the upper Mesopotamia Region during the sixth and seventh centuries AH/ 12 and 13 AD, through a research plan consisting of a preliminary chapter in which we dealt with the geography of the region and the general conditions in it during the period under study, in addition to the reasons that made this particular area of great importance. The second chapter was devoted to industrial activity, in which we discussed various industries and raw materials available in the region that contributed to the emergence of several crafts. In the third and final chapter, we discussed commercial activity, the most important land and river routes, internal and external trade, as well as markets and the most important commercial stations in the region. This study found that the different characteristics of the upper Mesopotamia region from geographic location, cultivable land and significant water resources to the myriad of raw materials has contributed to the abundance and variety of production, which has led to the diversity of the crafts and products, and this variance has naturally led to the development of trade movements at the internal and external levels; which also led to the interest of the princes and sultans of the Ayyubid state and Zengid dynasty in agriculture, industry and commerce through the establishment of various structures, markets, cisterns, and a combination of taxes, all of this led to the development of economic conditions However, the political situation and internal wars that the region witnessed during the 12 A.D. century, such as the war between the Sasanian and Byzantine states (602 A.H.-1258A.D.), the Mongol invasion of 656 A.H., and the successive attacks on them long before that, and the accompanying looting and robbery of farmers, crafters and traders alike, caused the degradation of the economic conditions in the region. The natural disasters witnessed by the region during the 6th and 7th centuries A.D. also played a negative role and left destructive effects that resulted in the decline of the standard of living of some of the island's cities and often resulted in the termination of the agricultural life in the island, which reflected negatively on the internal and external trade and production movement considering that it depended mainly on the

agricultural products and livestock, But this situation didn't last long. Soon, after the Mongol invasion, upper Mesopotamia cities restored their former economic activities.

الملخص

تناولت هذه الدراسة الأوضاع الإقتصادية لإقليم الجزيرة الفراتية خلال القرن السادس والسابع هجري /الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، من خلال خطة بحث مكونة من فصل تمهيدي تناولنا فيه جغرافية المنطقة والأوضاع العامة فيها في الفترة محل الدراسة إضافة الى الأسباب التي جعلت هذه المنطقة بالتحديد ذات أهمية كبيرة، فيما كان الفصل الأول للحديث عن النشاط الزراعي وأهم المحاصيل والمقومات الزراعية والثروة الحيوانية في الإقليم، أما الفصل الثاني فخصصناه للنشاط الصناعي حيث كان الحديث فيه عن مختلف الصناعات و المواد الخام المتوفرة في المنطقة و التي ساهمت في بروز عدة صناعات بينما تطرقنا في الفصل الثالث و الأخير إلى النشاط التجاري و أهم الطرق البرية و المائية، والتجارة الداخلية و الخارجية إضافة الى الأسواق و أهم المحطات التجارية في الإقليم و قد توصلت هذه الدراسة إلى أن المميزات المختلفة لإقليم الجزيرة الفراتية من موقع جغرافي و أراض صالحة للزراعة و موارد مائية معتبرة ، ووفرة المواد الأولية قد ساهمت في كثرة الإنتاج و تنوعه وهو ما أدى إلى تنوع الصناعات و السلع وهذا التنوع أدى بطبيعة الحال إلى تطور حركة التجارة على المستويين الداخلي والخارج، كما ساهم إهتمام أمراء و سلاطين الدولة الزنكية والأيوبية بالزراعة و الصناعة و التجارة من خلال إنشاء مختلف الهياكل من أسواق و خانات و قيساريات، ورفق في المكوس و الضرائب، كل هذا أدى الى تطور الأوضاع الإقتصادية، غير أن الأوضاع السياسية و الحروب الداخلية التي شهدتها المنطقة خلال القرن 6هـ/12م ، كالحرب بين الدولتين الساسانية و البيزنطية (602-628م) إضافة الى الغزو المغولي سنة 656هـ /1258م و الهجمات المتتالية عليها قبل ذلك بكثير، وما صاحبه من أعمال نهب و سلب تعرض لها الفلاحون وأصحاب الصنائع و التجار على حد سواء، أدى الى تدهور الأوضاع الإقتصادية في المنطقة، كما لعبت الكوارث الطبيعية التي شهدها الإقليم خلال القرنين السادس و السابع هجري /الثاني عشر و الثالث عشر للميلاد دورا سلبيا و تركت آثارا مدمرة أدت إلى تراجع المستوى المعيشي لبعض مدن الجزيرة و توقفت الحياة الزراعية في كثير من الأحيان وهو ما إنعكس بالسلب على الصناعة و التجارة الداخلية والخارجية على إعتبار أنهما تعتمدان بالدرجة الأولى على المنتجات الزراعية والثروة الحيوانية، ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا فسرعان ما إستقرت الأوضاع بعد الغزو المغولي وإستعادت مدن الجزيرة الفراتية نشاطها الاقتصادي السابق.

فهرس الموضوعات

إهداء
شكر وعرفان
خطة البحث
مقدمة ..... ب
الفصل التمهيدي: لمحة تاريخية حول إقليم الجزيرة الفراتية.....1
(ملحق 1): صورة الجزيرة الفراتية في القرن السادس هجري 2
المبحث الأول: جغرافية الجزيرة الفراتية 3
1-أصل التسمية..... 3
2-الموقع الجغرافي.... 3
(ملحق 2): التحديد الجغرافي لإقليم الجزيرة الفراتية 5
3 أهم مدن الجزيرة..... 6
(ملحق 3): خارطة توزيع المدن والقرى الرئيسية في الجزيرة الفراتية..... 9
المبحث الثاني: الأوضاع العامة لإقليم الجزيرة الفراتية في القرنين 6-7هـ..... 10
1-الأوضاع السياسية..... 10
2-الاوضاع الدينية والثقافية والعلمية 11
3-الأوضاع الاجتماعية..... 14
(ملحق 4): خارطة تبين توزيع القبائل العربية والكردية 16
المبحث الثالث: أهمية إقليم الجزيرة الفراتية 17
الفصل الأول: النشاط الزراعي في إقليم الجزيرة الفراتية..... 20
المبحث الأول: أساليب الري والنظام الاقطاعي في إقليم الجزيرة الفراتية 21
1-الأنهار..... 21
(ملحق5): خارطة تبين توزيع الموارد المائية الرئيسية في الجزيرة الفراتية..... 26
2-الأمطار..... 27
3-السدود والدواليب والآبار والقنوات 28
4-نظام الإقطاع..... 30
المبحث الثاني: النشاط الفلاحي في إقليم الجزيرة وأهم المحاصيل 34
1-الطرق المتبعة في الزراعة 35
2-أهم المحاصيل الزراعية..... 36
المبحث الثالث: الثروة الحيوانية في إقليم الجزيرة الفراتية 40
(ملحق6) 43

المبحث الرابع: ضريبة الأرض في اقليم الجزيرة الفراتية 44
الفصل الثاني: النشاط الصناعي في إقليم الجزيرة الفراتية 47
المبحث الأول: مقومات الصناعة في الإقليم 48
المبحث الثاني: أهم الصناعات والمناطق الصناعية 52
(ملحق 7): علبة من النحاس المكفت بالفضة.....55
(ملحق8): محبرة من النحاس مطعمة بالذهب والفضة صنعت بالموصل سنة 680هـ..... 56
المبحث الثالث: النشاط الحرفي والفنون 60
1-النشاط الحرفي..... 61
2-الفنون 62
(ملحق9): باب الحضرة..... 62
(ملحق10): صورة غلاف مصحف مذهب 63
(ملحق 11): محراب الجامع المجاهدي في الموصل 64
(ملحق12): مشكاة من قاعدة مئذنة سنجار(597هـ/1201م) 65
المبحث الرابع: المكوس..... 66
الفصل الثالث: النشاط التجاري في إقليم الجزيرة الفراتية 69
المبحث الأول: الطرق التجارية في الإقليم 70
1-الطرق البرية..... 70
2- الطرق المائية..... 71
(ملحق 13): الكلك من وسائط النقل التي كانت بين الموصل وبغداد وبين جزيرة عمر وديار بكر والموصل.....78
المبحث الثاني: المحطات التجارية والأسواق..... 76
المبحث الثالث: التجارة الداخلية.... 85
(ملحق 14): النقود..... 92
المبحث الرابع: التجارة الخارجية..... 93
(ملحق 15): الصادرات..... 99
(ملحق 16): الواردات..... 100
الخاتمة..... 102
قائمة المصادر والمراجع..... 105
الملخص..... 114